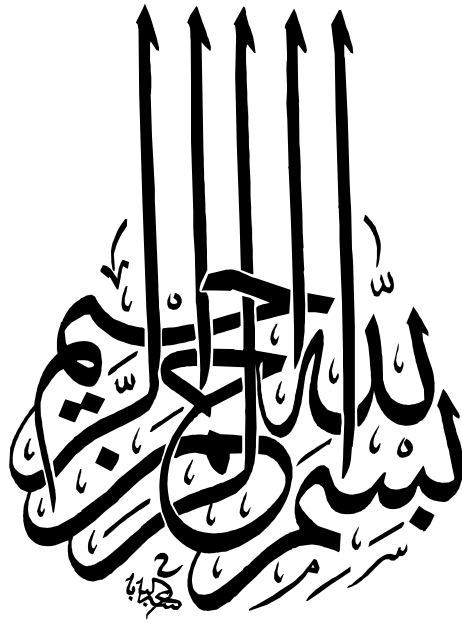


سلسلة : ساعات من التاريخ

المجاعة الكُبرى

محمد سعيد غازي

دارُ العُلَماءِ العَرَبِيَّةُ لِلنَّشْرِ وَالإِعْلَامِ



اسم الكتاب :: المجاعة الكبرى
اسم المؤلف :: محمد سعيد غازي
الترقيم الدولي :: ٧٦ - ٥٤ - ٧١٦٥ - ٩٧٧ - ٩٧٨
الناشر :: دار العلوم العربية للنشر والتوزيع
إنتاج وتنفيذ : دار العلوم العربية للنشر والتوزيع
بلد المؤلف :: مصر
بلد الناشر :: جمهورية مصر العربية
سنة النشر :: ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م
رقم الطبعة :: الطبعة الأولى

تذير

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف ولا يسمح بإعادة
نشر هذا الكتاب إلا بموافقة خطية من المؤلف .

الناشر

دار العلوم العربية للنشر والتوزيع

جمهورية مصر العربية

هواتف :: ٣٧٩٨٩٨٨ - ٠٤٨ - ٠٠٢

المبيعات :: تحويل داخلي ١٣

الفاكس :: تحويل داخلي ١٥

إدارة النشر :: ٠٠٢٠١٠٢٧٦٥٧٤٧١

الشراء عبر الإنترنت أو مناقشة المؤلف عبر فيرس بوك ::

WWW.FIRST-BOOK.NET

سلسلة

ساعات

من

التاريخ

(١)

المجاء

ة الكبرى

الطبعة الأولى

١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م

كافة الحقوق محفوظة

ناقشوا الكتاب على فيرست بوك TM للنشر والاعلام

أحد أنشطة مؤسسة دار العلوم العربية ودار علوم الأمة للإستثمارات الثقافية

WWW.FIRST-BOOK.NET

دار العلوم العربية للطباعة والنشر والتوزيع

إهداء

- إلى كل شهداء الحرية والفكر في العالم العربي
- وإلى روح جدتي التي علمتني معنى الحياة .

تعريف

هذا الكتاب الأول من سلسلة ساعات من التاريخ التي تحكي عن دول وحروب وأشخاص واغتيالات وأوبئة وكوارث غيرت مجرى التاريخ وقد جعلتها في أسلوب بسيط ومختصر،

وكان الغرض هو أن تصل المعلومة والفكرة بسيطة وغير معقدة، وهذا أول جزء في سلسلة "المجاعة الكبرى" وهو عن المجاعات والأوبئة التي حدثت في العصور القديمة والوسطى والحديثة، بداية من لوحة المجاعة- والعصر الإخشيدي ونهاية آخر خلفاء العصر العباسي إلى الخليفة المستنصر و الشدة المستنصرية ونهاية العصر الفاطمي وعن بعض الشخصيات التي لا تُحى أسماؤها من سجلات التاريخ. لست أدري من أين أبدأ؟! وهل تطاو عنى الكلمات؟؟

فإن الكلمات تتصاغر والعبارات تتضاءل ولكنني سأحاول، قدر استطاعتي وعسى أن أوفق فقد قال تعالى : ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ﴾

وَالْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾



مقدمة

يقول الله - تعالى - في سورة البقرة : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ
وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا
أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن
رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ١

هنا يخبر الله عباده أن الابتلاء والمصائب تنزل عليهم لحكمة عند الله - سبحانه - وليس صورة من العذاب من أجل العذاب فقط كما يدعي الملحدون ولكن الله يقول لنا السبب في هذه الآية الكريمة.

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوا أَعْبَارَكُمْ ﴾ محمد / ٣١
وقال - عز وجل - : ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ ٢ ﴾
ومن أجل هذا جعل الله - سبحانه وتعالى - المصائب والمحن في الأنفس والأموال والجوع، وجعلها في أقرب الناس إليك أولادك وأهلك ومن هو عزيز عليك وجعل الموت والمرض لسبب وهو معرفة أيكم أحسن عملاً ولكي يعلم الصابرين منكم وبشر الصابرين ومن صبر تحولت المصيبة إلى نعمة وأجر من الله ومغفرة ورحمة ونسأل الله من فضله أن يجعلنا وإياكم

١- البقرة/ ١٥٥ - ١٥٧

٢- الملك/ ٢

من الصابرين ﴿ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ (١٥٦)

أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿٣﴾ .

لكن حين يشتد الكرب و يطول الهم و تغيب البسمة و يجتاح طيف الظلم حياة الإنسان فتختل الموازين و تُزيّف الحقائق و تغلق كل الأبواب المفتحة أمامه و يطول التفكير فيصبح الإنسان مثل الريشة في الهواء و فريسة سهلة للشيطان و تتعثر قدمه و يعجز عن الخروج من هذه الظلمة و يتغير الوجه و يعتصر القلب و الفؤاد و عند المحنة تعرف شدائد الرجال و تلك الأيام نداولها بين الناس و هي سنة كونية و ليست على الأفراد فقط بل على الدول نفسها تجدد دولاً نجمها ينطفئ و دولاً أخرى نجمها يضيء و أمماً تموت و أخرى تولد و تظل العبرة في التاريخ . في البداية كانت الكلمة و لذلك قبل أن أبدأ يجب أن نعرف ماذا يحدث للإنسان عند الجوع و ما هي التغيرات التي تحدث للجسد و الأعضاء .

عندما يجوع إنسان بشدة و لا يجد شيئاً يأكله تبدأ أعراض أولى و هي ضعف و فقد الوزن و جفاف و اضطراب و ارتباك و هياج في التصرفات مع إسهال مزمن يصاحبه نقص في المناعة .

ثم يتبعه اضطراب في الأعضاء الداخلية ويبدأ عضو عضو في التوقف عن العمل ، الكبد يتوقف والكليتان تتوقفان وعدم توازن في الضغط وإشارات المخ يصيبها الشلل والارتباك ، ثم تزداد الحالة سوءاً حتي يصل إلى المراحل الأخيرة فهي تشمل هلوسة وتشنجات مع اضطرابات في ضربات القلب حتى يصل الأمر إلى النهاية وهي الموت، ويكون الشخص في هذه الحالات السابقة مثل المجنون لأن العقل يتوقف عن التفكير الصحيح ويخرج الإنسان عن إنسانيته ويأكل أي شيء أمامه سواء جيفة لبشر أموات أو كلاب حيّة أو ميتة أو حتى أبناؤه !

فإنسان يصل إلى مراحل الهلوسة هو إنسان من السهل أن يرتكب جريمة قتل ابنه الصغير ليأكله !

فهذا أمر لا يعقل لمن لا يزال عقله يعمل ويخبره عن الخطأ والصواب، ولكن من فقد عقله وجُنَّ جنونه من شدة الجوع يفعل ذلك ومن الصور التي حدثت في المجاعة الكبرى أو الشدة المستنصرية كان الأب يقتل ابنه والأم تقف لكي تطبخ ابنها والزوجة تأكل زوجها الميت والجار يأكل جاره وتجد الناس تأكل جثث الموتى في الطرقات وعلى الأرصفة والجثث تملأ الشوارع والحارات في طول البلاد وعرضها.

كنا نسمع عند الغلاء وارتفاع الأسعار كلمة الناس هتاكل بعضها خلاص!
ولكن اكتشفت بعد ذلك أن هذا ما قد حدث بالفعل سابقاً ، والتاريخ
يشهد على ذلك !

لا تحاول أن تعيد حساب الأمس وما خسرت فيه فالعمر حين تسقط أوراقه
لن تعود مرة أخرى .

الموت، أو من كثيرًا بأن المسافة الفاصلة بين عالمي وعالم الموت مجرد حدث،
حدث واحد أيًا كان هو لحظة فاصلة بينك وبين عالم غريب لا تعرف عنه
شيئًا .

لا أستطيع أن أفهم لماذا يموت كثير من الناس في عمر صغير ويعيش
آخرون طويلاً ، أريد أن أعرف ، كيف يحاسب الله من مات مبكرًا ؟
لأنه قد يتوب لو عُمّر طويلاً، هل سوف يقول هذا عند لقاء الله : لماذا لم
يمنحه الله عمرًا طويلاً كالآخرين علّه يتوب علم الله بحالنا وعملنا ، لكنه
مع ذلك جعلنا في الأرض؛ حتى لا يكون لدينا حجة عند لقائه ينبغي أن
نعلم أن من أصول الإيمان التي لا يصح للعبد إيمانه إلا بها : أن يؤمن بكمال
الله المطلق، فله الأسماء الحسنى، والصفات العلى، منزّه عن كل عيب
ونقصان - سبحانه - .



الفقر

عندما يكون سبب الموت هو الفقر والجوع تجتمع مُصيبتا الموت والفقر.

قال الحكماء الفقر رأس كل بلاء وقال لقمان الحكيم لابنه يا بني أكلت الحنظل وذقت الصبر فلم أرَ شيئاً أَمْر من الفقر فإذا افتقرت فلا تحدث به الناس كي لا ينتقصوك أو لكن اسأل الله - تعالى - من فضله أفمن ذا الذي سأل الله ولم يعطه من فضله أو دعاه فلم يجب، فسبحان الله .

- الابتلاء.

هو اختبار من الله للعبد إما يصبر على هذا الابتلاء ويكون من الشاكرين ويحمد الله في السراء والضراء ويكون مصيره رضواناً من الله - عز وجل - ومغفرة ورحمة وإما أن يكون من الناقمين وينال غضب الله ولعنته .

دعاء أيوب عليه السلام لربه، قَالَ تَعَالَى: ﴿ رَبِّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ

أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ ﴾ ، وكان .

فإن كثيراً من الناس عبدٌ لهواه وليس عبداً لله ، إذا ابتلي نكص على

عقبه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين أقال - تعالى ﴿ وَمِنَ النَّاسِ

مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١١﴾ الحج ١١ .

قيل للإمام الشافعي - رحمه الله - : أيهما أفضل : الصبر أو المحنة أو التمكن؟ فقال : التمكن درجة الأنبياء ، ولا يكون التمكن إلا بعد المحنة ، فإذا امتحن ، صبر وإذا صبر مكن أ الابتلاء فرصة للتفكير في العيوب ، عيوب النفس وأخطاء الماضي ودعوة لتغيير وتصحيح المسار .

- إن مع العسر يسراً

فمن رحم المعاناة يولد الأمل .. ومن قلب الظلام ينبثق النور .

أصعب الأشياء على الإنسان الفقر والجوع ولكن؟ هل الجوع بمعنى جوع الطعام والفقر أم جوع وميول النفس البشرية إلى حب التملك الذي لا تشبع منه أبداً .

مهما امتلكت ولكني أعتقد أن جوع الطعام والفقر يأتي على القمة لأن في الجوع يتساوى الجميع الغني والفقير وعند حدوث المجاعات يصبح كل شيء مباحاً وتسقط كل القوانين والأعراف وتتغير المفاهيم الأساسية التي تربت عليها الإنسانية وبعد سقوط القيم يسقط الضمير الإنساني ويتساوى الجميع لا فرق بين ملك وصُعلوك بين عالم أو جاهل تتوقف العقول وترفع

راية واحدة فقط البقاء للأقوى وألا مكان للضعيف ويصبح قانون الغابة هو المسيطر وقد شهد العالم على مر التاريخ مجاعات تقشعر لها الأبدان و شهد الإنسان على مدى قرون سابقة الكوارث والمحن بعضها كان نتاج جشعه وطمعه والبعض الآخر جاء تعبيراً عن غضب الطبيعة عندما تدخل الإنسان مغروراً بعلمه. فينهار كل شيء كثيرة جداً هي الكوارث التي هزت العالم وأرقت الضمير الإنساني وأكثرها كان بسبب تدخل الإنسان إما عن جهل أو عن علم زاد عن الحد فأصبح غروراً على العلم ومن وهبه العلم فتنكر لصاحب العلم - سبحانه - وقال أنه يعلم أن الله غير موجود فكان لا بد من صاحب العلم - سبحانه - أن يتدخل حتى يعلم أصحاب العلم أنه موجود وأنه - سبحانه - من وهبهم العلم فعندما يعجز أصحاب العلم أمام غضب الطبيعة أو عن علاج مرض مستعصٍ ويقف علم الإنسان المحدود أمام علم الله اللا محدود هنا تعجز الألسنة ويخرس الملحدون ويتمتم الملحد بكلام غير مفهوم ويصرخ ويخرج عليك بكتب ونظريات عن الانفجار العظيم ونشأة الكون من الانفجار الذي حدث وتكونت منه المادة وأن العلم يكشف كل يوم عن أن الكون هو تطور ذاتي من فعل الطبيعة والمادة وألا يوجد الله أو يتسم في وجهك وفي عينيه نظرات الانتصار وأنه صاحب العقل الجبار وأنت تنظر إليه نظرة الشفقة على هذا العقل

المسكين ثم تأتي الكوارث والأوبئة لتغير شكل الحياة ويقول الله لعباده المؤمنين أنكم أنتم الغالبون وأنكم على الحق المبين ويشهد التاريخ على أمم كانت تتخيل أنها لا تقهر انتهت في لمح البصر وأصبحت صفحة من صفحات التاريخ وقد جمعت بعض هذه الصفحات من الكوارث التي كانت بسبب الطبيعة أو بسبب جشع الإنسان وطمعه وشره صفحات من السجلات التي غيرت مجرى العالم .

عندما يتحداك ابنك الصغير فهو يتحداك عن جهل وعن براءة طفولة ولهذا لن تتحداه ولكن عندما يتحدى الإنسان البالغ العاقل الله - عز وجل - فهو تحدٍّ نابع عن غرور وطمغيان وتكبر وتجبر وضعف إيمان ومن اجتمعت فيه هذه الصفات كان يحق عليه أن يلقي من الله ما يستحق من عقاب والعقاب من جنس العمل نفسهفما هو دافع هذا التحدي فلو تحدى الله طفل فلن يؤاخذه الله - عز وجل - لأنه تحدٍّ من براءة وضعف إدراك لكن عندما يطغى ويتكبر العاقل فهل هذا ضعف إدراك أو كارثة من نتاج غرور النفس وخبائثها أنت إذا وقفت أمام رب عملك في موقف تحدٍّ سوف يوقع عليك الجزاء بدون تردد فما بالك تجد إنساناً يتحدى من خلق السموات والأرض ومن أوجدك أنت ووهبك عقلك من أجل هذا جعل الله العقاب والثواب لصاحب العقل السليم ورفع العقاب عن المجنون غير

العاقل وهذا هو العدل الإلهي وإذا كان الله غير موجود سوف تسقط كل القيم والمبادئ الإنسانية من تلقاء نفسها أو بمعنى آخر إذا كانت الوجودية الإلهية غير موجودة فلن يوجد الثواب والعقاب كذلك فلن يوجد حرام وحلال وبالتالي لن توجد قيم أخلاقية ولا مبادئ إنسانية ولا عائلية ويموت الضمير ولن تجده يعذبك بعد ذلك عندما تخطئ وتسقط الفضيلة والحياء من العالم وتصبح الرذيلة شرفاً والعفة تخلفاً ورجعية ولن يصبح في القاموس اللغوي كلمة أخلاق ولماذا تكون هناك أخلاق وكل شيء مباح ولكن الله موجود بعدله ورحمته وهو العدل الأزلي - سبحانه -



الباب الأول

- المجاعات والأوبئة
- المجاعة الكبرى
- مجاعة الصين
- مجاعة البطاطس
- مجاعة الثلاثين
- الموت الأسود
- الإنفلونزا الوبائية

التاريخ

إن في صفحات التاريخ عبرة لمن يعتبراً واليوم أفتح معكم صفحة من كتاب التاريخ ونرجع بعقارب الساعة إلى الخلف ألف عام إلا قليلاً وبالتحديد في عصر المستنصر الخليفة الفاطمي.

ثم نقوم بإرجاع الزمن أكثر و تحديداً عند بداية نهاية العصر العباسي ولكي نعيش هذا الزمن قد حاولت أن أصف الشوارع والأسواق والأبواب التي كانت تستخدم في هذا العصر ولم أحاول جعل الخليفة المستنصر محور الأحداث وما سوف أقوم بسرده هنا هو جزء من هذه الصفحة في التاريخ المصري و سوف أحاول أن نعبر الجسر إلى هذه الحقبة التاريخية وأجد أنه لزام عليّ أن أقول لكم قبل أن نصل إلى الجزء الصعب من هذه الصفحة والذي أوجع نفسي وفؤادي وجعلني أعيد كل حساباتي ونظرتي في الحياة وهو وصف المجاعة أو الشدة المستنصرية وما حدث فيها عندما تتخيل أن هذه الأحداث قد وقعت في بلد من أكبر البلاد في الوطن العربي ويكون هذا البلد هو وطنك الذي تحمل له كل حب وتفتخر بتاريخه وتأتي هذه الصفحة من التاريخ تقلب لك الموازين وكان أول تفكيرني هو كيف خرج هذا الوطن من هذه الشدة وماذا لو كنت تعيش في هذا الزمن

الذى أكل فيه الناس القطط والكلاب ونبشوا القبور و اشتد بهم الجوع وخطف الخبز من على رؤوس الخبازين وانتشر الوباء ووقع في الناس المرض والموت وهاجرت النساء للعراق والشام وكن يبعن أنفسهن لقاء وجبة طعام أو رغيف خبز.. وعمد بعض أعيان الدولة إلى استخدام الناس لقاء كسرة خبز..

كما بيعت حارة بأكملها مكونة من عشرين دارًا بطبق من الطعام حتى سميت بحارة الطبق..

وأكل الناس الجيف والميتة.. ثم عمدوا إلى القطط والكلاب يذبحونها ثم يأكلونها.. حتى أصبحت سلعة نادرة وارتفع ثمنها فبيع الكلب أ بخمسة دنانير والقطعة بثلاثة دنانير.. ثم أكلوا الروث والحيوانات النافقة فانتشر فيهم المرض وأصبح الموت في كل مكان وكان يخرج من القاهرة كل يوم ما بين مائة إلى خمسمائة جنازة..

وأما البيوت والدكاكين فقد خلا معظمها بعد أن مات أصحابها ومن كثرة الموت والعدد عجز ذووهم عن دفنهم فكانوا يلقون بهم في الشوارع والطرق ثم أصابهم الموت هم أيضًا ولم يجدوا من يدفنهم فبقوا في البيوت والدكاكين.. وأما الضواحي والقرى فهلك أكثر أهلها إلا من شاء الله،

والمسافر يمر بالقرية فلا يرى فيها إنساناً و البيوت مفتحة وأهلها موتى فيها ولم يبقَ في قرى وكفور ونجوع كاملة بيت مسكون ..ويقول البغدادي المؤرخ.....

بعضهم مروا ببلد ذكروا أن فيها ٤٠٠ ورشة للخياطة فوجدوها خراباً وأن الخياط بجانب حياكته ميت وأهله موتى حوله والبؤس واليأس أصبح حال الجميع والتغيير لا يطمع فيه .. والخارجون عن القانون وقطاع الطريق أصبحوا في كل مكان واشتد بينهم القتال يحمل كل منهم السلاح و ينوي كل منهم أن يتخلص من الآخر. ويئس الناس من زيادة النيل وتصحرت الأراضي وهلكت الماشية وهلك الحرث والنسل ونزل أهل الريف إلى أمهات البلاد وهجر الناس بيوتهم ومعسكرات العساكر قد تبعثرت وتخربت والفتن بينهم قد قامت والوزراء لا ينفذون أي أمر حتى تغير اثنا عشر وزيراً في بضع سنين وأغلقت أبواب الرحمة وفتحت أبواب العذاب .. وأكل الإنسان أخاه الإنسان وباع الأب أبناءه وأكلت الأم رضيعها وتحولت شوارع ومدن إلى مقابر ورائحة الموت في كل مكان ولقد حاولت التخفيف من وطأة الأحداث أقدر المحتمل، وكان الهدف الرئيسي من اختيار هذه الحقبة التذكير بقوة هذا الوطن على الخروج من الكوارث والمحن ورغم ما وجدت من اعتراض على اختياري الكتابة عن هذه الحقبة

من كثير من الأصدقاء إلا أنني عندما بدأت في الشروع في الكتابة وجمع المعلومات عن هذه الحقبة التاريخية والتي وجدت كثيرًا من الناس لا يعرف عنها شيئًا قد صدمت مما قال المؤرخون مثل البغدادي وقد حضر الشدة وشاهد ما حدث وأيضًا المقريري قد كتب عن هذه المحنة وبعيدًا عن اعتراضي أو قبولي للدولة الفاطمية أو الخليفة المستنصر وفترة حكمه وحكم الفاطميين إلا أنها صفحة من التاريخ لا تمحى بقبولي أو اعتراضي ومن أجل ذلك اخترتها كي تكون صفحة من هذا الكتاب وأعطيتها أكبر مساحة من الكتابة وجعلتها أول محطة في رحلة السفر عبر الزمن الماضي. نعم أعترف أنها صفحة مؤلمة للنفس ومحنة للفؤاد ولكن هناك صفحات في التاريخ أشد منها ألمًا وحزنًا وأنا عن نفسي كانت أشد الصفحات ألمًا وأصعبها عليّ كانت صفحة يوم كربلاء وفيها تجمعت الخيانة والغدر مقابل الشجاعة والإخلاص ..

وقبل أن نحمل حقائب السفر إلى شوارع المحروسة أريد أن أقول أن هذه الأحداث جزء بسيط من الأحداث وذلك لعظمة ما حدث. والآن نرجع بعقارب الساعة و نساfer عبر الماضي ونعيش في زمن وأشخاص وشوارع وبيوت وعصر وحكام لم نعرفهم إلا من سجلات التاريخ .



لوحة المجاعة

هي لوحة منحوتة وجدت بالقرب من أسوان، وهي تتحدث عن سبع سنوات من الجفاف والمجاعة في عهد الملك زوسر، وفيها يقدم زوسر القرابين لثلاثة آلهة مصرية وهي تتحدث عن المجاعة التي حدثت عندما توقف الفيضان لمدة سبع سنوات طوال في زمن الملك سنفرو من عصر الأسرة الرابعة حوالي ٢٦٥٠ ق.م

- مجاعة الجراد-

- الدولة الإخشيدية:

في سنة ٣٢٧هـ هجم على مصر جراد لا توصف كثرته حتى منع شعاع الشمس من الوصول إلى الأرض فأتى على العنب والفواكه والنخل حتى خربت البساتين وحقول المحاصيل.. فعمت المجاعة البلاد..

وفي سنة ٣٤٧هـ شهدت مصر جراداً أتى على جميع الغلات والأشجار.. ونفقت الماشية وعمت مجاعة أشد وطأة من الأولى وانتشر الموت في كل مكان.. فأكل الناس حيوانات الشوارع ثم أكلوا جيف الماشية

ثم حدث اجتياح الفئران لمصر.. يقول المقرئزي: (وقع سنة ٣٤١ هـ وباء الفأر وأهلك الغلات والكروم. وحدثت مجاعة شديدة فاضطر الناس

لأكل الكلاب والقطط ثم عمدوا إلى الفئران. ويقول أن اصطيد الفئران كان سهلاً لفرط ضخامتها فكان الفأر يعادل في حجمه الأرنب: (في المحرم من سنة ٣٦٠هـ اشتد الوباء والأمراض بالقاهرة. وبلغ مد الوباء درجة كبيرة من العنف فكثر الموت حتى عجز الناس عن تكفين الأموات ودفنهم فكانوا يطرحون موتاهم في النيل ولا شك أن اقتراف الناس لتلك الخطيئة في حق موتاهم كان يعود عليهم بمزيد من البلاء فقد أدى ذلك إلى انتقال العدوى وتفشي الوباء.

أما الدولة الفاطمية كانت في بدايتها بداية خير ورخاء لمصر لحنكة المعز لدين الله ومن بعده ابنه العزيز بالله في تصريف أحوال الرعية ووضع الإصلاحات الاقتصادية.. ومرت فترة بدون أزمات وعم الرخاء البلاد.. ولكن في عهد العزيز بالله حدث غلاء سنة ٣٧٢هـ وأعقبه وباء شديد بمصر أفنى خلقاً كثيرين لا يحصى عددهم واستمر هذا الوباء متفشياً حتى العام التالي.

ثم تولى الحاكم بأمر الله الحكم وهو ابن ١١ سنة ونصفاً هنا أمام الخليفة الحاكم بأمر الله سوف نضع حقائق السفر عبر التاريخ ونجلس من أجل الراحة لقد كان الرجل غريباً في حياته وفي موته وكان في عهده

العجب العجاب في بداية الحكم طمع فيه وفي الحكم الكثير بسبب صغر سن الخليفة الحاكم أستخف به الجنود ورجال الدولة فحاول إثبات صرامته وقوته وأخذ قرارات مجنونة وغير منطقية من ناحية أخرى من أجل استرداد سلطانه والتخلص من كل المنافسين والسيطرة على كل مقاليد الحكم وكان حينها قد تجاوز الـ ١٥ سنة. أظهر الحاكم عندما تولى تقشفاً وزهداً على عكس آبائه. إذ طرد نساء الحظ والهوى وأعتق مماليكه من الإناث والذكور وملّكهم أمر نفوسهم والتصرف فيما يملكونه وما قد أعطاه هو لهم من أموال أبعث ذلك انتقل تدريجياً من الملابس المذهبة وهي عادة آبائه إلى ملابس أخرى خشنة من الصوف كما أنه خفف من الإسراف الذي كان يحدث في الاحتفالات بالمناسبات المختلفة وأمر كذلك بالأصلي عليه أحد في كتاباته ويقتصر على هذه الصيغة: (سلام الله وتحياته وبركاته على أمير المؤمنين .

الوجه الآخر من الحاكم بأمر الله. كان الحاكم مسرفاً في القتل إلى مدى كبير كان شديداً في التعامل مع رجال دولته يحاسبهم بشدة إذا أخطأوا اعتمد على نظر المظالم لتطهير دولته من الفساد. وكان ينزل إلى الأسواق ويطوف القرى وهو على حماره حتى يسمع مظالم الناس. وقد كان حريصاً على توزيع المال على الفقراء والمساكين. ويشهد المؤرخون للحاكم بأمر الله

بأن يده لم تمتد على أخذ مال أحد من العامة أو الخاصة و قالوا عن الحاكم بأمر الله (إن أهل مملكته لم يزالوا في أيامه آمنين على أموالهم غير مطمئنين على أنفسهم).

• المراسيم التي أصدرها :

سجل الأطعمة الممنوعة من البيع والأكل الملوخية و الجرجير والمتوكلية المنسوبة إلى المتوكل.

المنع من عجن الخبز بالرجل والمنع من ذبح البقر التي لا عاقبة لها إلا في أيام الأضاحي وما سواها من الأيام، ولا يذبح منها إلا ما لا يصلح للحرث.

- إصلاح المكاييل والموازين والنهي عن البخس فيها.

ألا يدخل الحمام أحد إلا بمئزر- المئزر في اللغة هو لباس يلفه الإنسان عادة أكثر ما بين السرة والركبة لستر العورة- وألا تكشف امرأة وجهها في طريق ولا خلف جنازة ولا تتبرج. ثم منع صناعة الأحذية الحريمي حتى لا تخرج النساء من البيوت وكانت هناك حالات مستثناة تستخرج بها تصاريح، فاستثنى الخارجات لأداء فريضة الحج ومغسلات الموتى، والأرامل المحتاجات للعمل، ولم تخرج النساء من البيوت إلا بموت الحاكم

بأمر الله وتولي الظاهر لإعزاز دين الله الذي أفرج عن النساء واعدن يخرجن من البيوت وحتى الآن لا يمحي من ذاكرة نساء مصر إذا تمسك الرجل أمام المرأة المصرية بقرار وصمم على عدم الرجوع فيه يكون الرد من النساء هو فاكر نفسه الحاكم بأمره واللا إيه؟

وأمر النصارى بتعليق صليب في رقابهم زنته رطل وربع وألزم اليهود أن يعلقوا في أعناقهم قرمية في زنة الصليب إشارة إلى رأس العجل الذي عبده وأن تكون عمائمهم سوداء وأن يدخلوا الحمام بالصليب وبالقرمية ثم أفرد لهم حمامات أو قبض على عيسى بن نسطورس النصراني " وزير أبيه العزيز بالله " وضرب عنقه ثم قبض على فهد بن إبراهيم النصراني " كان كاتب معلم الخليفة يرجو ان وضرب عنقه وتشدد على النصارى وألزمهم بلبس ثياب خاصة حتى يتم تمييزهم وأمر بهدم كنيسة القيامة ثم كان قرار النفي حيث ألزم اليهود والنصارى بخروجهم كلهم من أرض مصر إلى بلاد الروم فاجتمعوا تحت قصر الخليفة الحاكم واستغاثوا بالبكاء وطلب العفو من الخليفة. حتى تراجع عن قرار النفي الجماعي ويقول ساويرس بن المقفع أن الضربة القاضية التي تلقتها اللغة القبطية في عهده كانت بمثابة نهاية للغة القبطية القديمة فقد أصدر أوامر مشددة بإبطال استخدام اللغة القبطية في التعامل الشعبي نهائياً فأصدر الأوامر المشددة بإبطال التكلم أو

التلفظ باللغة القبطية في الشوارع والأسواق وغيرها من الأماكن العامة ومعاينة كل من يتكلم بها بقطع لسانه، فأمر بأن تقطع لسان كل سيدة تتكلم مع أولادها باللغة القبطية حتى اختفت اللغة القبطية من القرى والنجوع، تاريخ الأقباط بالقول الإبريزي للعلامة المقريزي أساويروس ابن المقفع كتاب الإمام الذهبي سير أعلام النبلاء

أيضاً من قائمة الممنوعات منع سماع المعازف والغناء وأغلق أماكن اللهو لا يباع شيء من السمك بغير قشر، وألا يصطاده أحد من الصيادين. منع بيع الترمس والسمك الذي لا قشر له وضرب عنق من فعل ذلك، ونهى عن بيع الزبيب ومنع التجار عن حمله إلى مصر ثم جمع كمية كبيرة وأحرقها على شاطئ النيل وأنفق على إحراقها فقط دون قيمتها خمسمائة دينار ومنع بيع العنب بكميات كبيرة أربعة أرتال فقط من العنب لكل فرد وأحرق ما كان في المخازن من جرار العسل فكسرت وقلبت في النيل حتى امتلأ بها وتلاعبت الحكومة بالناس فصكت دراهم ودنانير جديدة وأمرت الناس باستبدالها بالقديمة ما أدى لتربح الحكومة وخسارة الناس القيمة الفعلية لأموالهم.. كما اشتغل الوزراء بتجارة الغلال وتلاعبوا في الأسعار لتحقيق أعلى ربح.. وأعقب الغلاء وباء في سنة ٣٩٨هـ فأفنى

كثيرًا من أهل مصر واستمر تفشيهِ حتى آخر سنة ٣٩٩هـ فتزايدت الأمراض وعزت الأدوية وكثر الموت فعمت المجاعة .. وخرج الخليفة في موكبه فتجمعهر الناس حوله وكادوا يفتكون به لولا الحراسة الموجودة معه و الذين استطاعوا تهريبه إلى داخل القصر والناس يهتفون: (الجوع. الجوع. ما هكذا فعل بنا أبوك ولا جدك) .

فأمر الخليفة بضرب عنق كل من يخزن الغلال وحرق داره ونهب أمواله. وكان لديه عبد أسود اسمه «مسعود» كان يأمره بأن يفعل الفاحشة في المحتكرين والغشاشين حتى يتوقفوا عن استغلال الناس فخاف الخزانون وأرشدوا المحتسب إلى المخازن السرية لتخزين القمح. وأخرجوا ما عندهم من الغلال..

ثم أمر بالخبازين والطحانين فجمعوا وضربوا بالسياط في الميدان وشهر بهم.. فانحلت الأزمة قليلاً

- خرج ولم يعد !!

اختفاء الخليفة الحاكم الرواية الأشهر تقول أنه خرج كعادته في الليل على حماره إلى جبل المقطم ليتدبر في ملكوت الله ولم يعد، فأرسل الجند يقتفون أثره لعلهم يجدونه، فلم يعثروا إلا على عباءته الملطخة بالدماء،

وبعد هذه الواقعة بسنوات طويلة اعترف أحدهم بقتل الحاكم.

تختلف المصادر في تفصيل القتل والاختفاء ، لكن هناك روايات كثيرة ترجح أنه كان ضحية مؤامرة دبرت ضده من أعدائه الكثيرين انتهت بمقتله، وإن كان متواتراً في الروايات السنية والقبطية قتله على يد أخته ست الملك لأسباب شخصية، وبسبب أنه حاول تغيير أصول نظام الوراثة المعمول به في المذهب الشيعي الإسماعيلي ورواية أخرى أنه قتل على يد رجل من صعيد مصر اتهم الحاكم بأنه خرج عن الدين ورواية أخرى أنه كان معه اثنان من حراسته عندما صعد إلى المقطم واختفى فجأة ولم يعداً تكتمت أخته هذا الخبر لتحافظ على أمن البلاد، وخاطبت عمال المدن باسم الحاكم بأمر الله ،حتى ولت ابن أخيها الظاهر لإعزاز دين الله الخلافة، وظلت تدبر معه أحوال البلاد ، ولم تتزوج حتى ماتت .

- الخليفة الظاهر :-

في خلافة الظاهر لإعزاز دين الله الفاطمي فشت الأمراض وكثر الموت في الناس في سنة ٤١٥ هـ وكثر الوباء والموت حتى لم ينجل منزل واحد من الموت أو المرض وعادت المجاعة من جديد بعد أن ضعفت سلطته.. ولم يكن الخليفة يشعر بآلام الناس وصرخات الجوع والموت التي ملأت

البلاد. واستمر التجار في التلاعب بالأسعار وازداد الجوع حدة وكثر نحيب وبكاء الناس واستغاثتهم إلى الله حتى خرجوا رافعين المصاحف على الرؤوس إلى جبل المقطم يبتهلون و يستغيثون بالله أن يرفع عنهم البلاء ثم امتد الوباء إلى الواحات سنة ٤١٧ هـ فحل بأهلها جدرى عظيم مات كثير من أهلها ثم حدث وباء عظيم في العام نفسه وانتهت خلافة الظاهر بوباء آخر سنة ٤٢٦ هـ لم يعيش الظاهر بعده طويلاً إذ توفي في نصف شعبان سنة ٤٢٧ هـ).

ثم تولى المستنصر بالله الحكم عام ٤٢٧ هـ بعد وفاة أبيه الظاهر.. وهو ابن السابعة من عمره، وشهد عصره أكبر وأشد المجاعات التي مرت على مصر وهي الشدة المستنصرية أو المجاعة الكبرى .

- دخول الجحافل المغولية ببغداد -

اليوم الأربعاء ١٤ من صفر سنة ٦٥٦ هجرية نقف أمام أبواب الخليفة العباسي المستعصم بالله آخر الخلفاء العباسيين وقد أشاهد حجم الغضب على وجهه وهو يقرأ رسالة هولاء الذي أرسلها إليه وفيها.. عندما أقود جيشي الغاضب إلى بغداد سأقبض عليك سواء اختبأت في الجنة أو في الأرض و سأحرق مدينتك وأرضك وشخصك. إذا كنت حقاً تريد حماية

نفسك وعائلتك اسمع نصيحتي وهدِّم الأسوار والقلاع وتعالى إليَّ بنفسك
وسلم المدينة وأحفظ كرامتك وماء وجهك أمام جنك وإن أبيت ذلك
فسترى أنخيل معي إذا أرسل شخص لك رسالة تهديد ووعيد مثل هذه
الرسالة وأنت شخص عادي ولست بحاكم ماذا سوف يكون ردك أو كيف
يكون هو حالك لو كنت لا تستطيع الرد؟ وأترك لكم الإجابة أما عن
المستعصم كان حليماً متديناً ولم يكن حازماً وكان ضعيف المهمة والمؤمن
القوي خير من المؤمن الضعيف وكان يعتمد في كل قراراته على وزيره ابن
العلقي وتلك كانت المصيبة والمأساة وعندما علم الخليفة أنه ليس في
استطاعته صد عدوان المغول، ذهب إليه بنفسه لكي يطلب منه الأمان
لسكان المدينة عندما يتسلمها هولاءكو وبعض المصادر تقول أنه أرسل له
ابنه وعندما دخل هولاءكو بغداد قتل الخليفة وأولاده وقتل الجيش التتري
كل من يجدونه من السكان لدرجة أن هولاءكو نقل مكان خيمته بعد أيام
من دخول المدينة من شدة رائحة الجثث المتعفنة .

قتل الخليفة وإعلان سقوط الخلافة العباسية .

أشرس وأقوى الصدمات لا نتلقاها إلا من أعز الأصدقاء .



الخيانة

الخيانة أو الغدرأهما وجهان لعملة واحدة ونتيجة لا بديل عنها وهو الألم والمرارة وحجم الألم يزيد أو ينقص على حجم الثقة والحب الذي وضعته فيمن قام بخيانتك وحسب حجم الخسائر والأضرار الناتجة عن الخيانة وعندما تكون النتيجة هي ضياع دولة وموت أكثر من مليون شخص من بينهم أطفال ونساء وشيوخ تخيل ما هو حجم الخيانة وهل تحى هي أو صاحبها من صفحات التاريخ الجواب طبعًا لا لقد دخل صاحب هذه الخيانة كما يقول الناس من أوسع أبواب التاريخ لكن صفحة من صفحات الغدر والخيانة .

- ابن العلقمي والخيانة الكبرى :

ابن العلقمي والخيانة والغدر اسم تفوق شهرته شهرة الخيانة يكفي إذا أردت أن تتهم أحدًا بتهمة الخيانة تقول يا حفيد العلقمي الخيانة أو الغدر وهي من أكثر الأشياء ألمًا للنفس ومثلها مثل كل شيء لها أعلام في التاريخ ونجوم في عالم الغدر والخيانة وقصص أهل الغدر والخيانة في التاريخ العربي كثيرة ولكن ابن العلقمي اسم لا تذكر الخيانة عند العرب إلا وكان ابن العلقمي على رأسها ولكن ماذا فعل حتى يصبح اسمه رمزًا من رموز

الخيانة هو صاحب الجريمة النكراء ٦٥٦ هجريًا كان وزير الخليفة العباسي وهو من سلمه إلى هولاء زعيم التتار وبداية الخيانة عندما استغل ضعف الخليفة المستعصم وجهله بأمر الحكم وكانت خطته هي - :

١- إرسال معلومات الدولة إلى التتار

٢- إضعاف الجيش

٣- النهي عن قتال التتار

المؤامرة على الخليفة

كان الخليفة على مذهب أهل السنة ، كما كان أبوه وجدّه ، ولكن كان لينا ضعيفا وعديم الخبرة في السياسة والحكم ، فكان هذا الوزير الراضي يخطط للقضاء على دولة الخلافة ، وإبادة أهل السنة وإقامة دولة على مذهبه ، فاستغل منصبه ، وثقة المستعصم بها الثقة الزائدة إنها تصريح من الحاكم وهبه لكي تفعل أي شيء وبدون حساب أو بهذه الثقة قد غفل الخليفة عنه وبدأ في تنفيذ مؤامراته ضد دولة الخلافة وكان الوزير ابن العلقمي يجتهد في صرف الجيوش وإسقاط أساء العسكر من الديوان ، فكانت العساكر في آخر أيام المستنصر قريبا من مائة ألف مقاتل .. فلم يزل يجتهد في تقليلهم ، إلى أن لم يبق سوى عشرة آلاف وكل ذلك ولم يتنبه المستعصم لهذا الخائن

وأنا أتعجب من هؤلاء البشر كيف تكون حاكماً على بلادها طولها وعرضها وتكون بهذه السذاجة التي لا تأتي إلا من إنسان مستهتر بملايين الناس التي تحت حكمه أو عن طيبة تصل إلى حد الغفلة فهل الخطأ أن تكون إنساناً طيباً ولا تحمل في قلبك إلا الثقة.

فتأمل معي هذه الحادثة الكبرى والخيانة العظمى ، واعتبر بطيبة بعض البشر إلى حد الغفلة بتقريب أعدى أعدائهم ، فهذا الرجل كان وزيراً للمستعصم أربع عشرة سنة ، وقد كان له من التعظيم ما لم يحصل لغيره من الوزراء ، فلم يجد هذا التسامح والتقدير في إزالة الخيانة التي يحملها في قلبه وأوهم الخليفة وحاشيته أن ملك التتار يريد مصالحتهم ، وأشار على الخليفة بالخروج إليه ، والمثول بين يديه لتقع المصالحة على أن يكون نصف خراج العراق لهم ، ونصفه للخليفة ، فخرج الخليفة إليه في سبعمائة راكب من القضاة والفقهاء والأمراء والأعيان ..

فتم بهذه الحيلة دخول بغداد و قتل الخليفة ومن معه من قواد الأمة وطلائعها بدون أي جهد من التتار ، وقد أشار المنافقون على هولاء ألا يصلح الخليفة ، وقال الوزير ابن العلقمي : متى وقع الصلح لا يستمر هذا إلا عاماً أو عامين ، ثم يعود الأمر إلى ما كان عليه قبل ذلك ، وقتل

هولاكو الخليفة في ١٤ من صفر سنة ٦٥٦ هجريًا بعد حصار ١٢ يومًا مات الخليفة المستعصم أضحية الخيانة والثقة فيمن لا يعرف معنى الثقة وما أكثرهم في هذا الزمان بعد هذا المشهد الحزين دخل التتار بغداداً وألقى أهل المدينة السلاح، وبعد أن قتلت هذه الصفوة، من القادة ورجال الدولة أصدر هولاكو الأوامر "باستباحة بغداد عاصمة الخلافة العباسية.. والأمر بالاستباحة أن يفعل الجيش التتري فيها ما يشاء".

وانطلقت جنود هولاكو الهمجية تنهش في أجساد نساء بغداد وأهلك جيشهم الأخضر واليابس أدمرت مكتبة بغداد وبيت الحكمة الذي كان يحتوي على وثائق في الطب والفلك يقال أن نهر دجلة كان أسود من كثرة الحبر من كميات الكتب التي طرحها الجيش المغولي في نهر دجلة وضاع مجهود أكثر من ٦٠٠ عام، من العلم في النهر وسقطت الخلافة العباسية بعد مقتل الخليفة دهسًا لف بواسطة السجاد وجعلوا الخيل تدوسه ويضرب حتى الموت ثم قتل كل أهله وأبنائه ما عدا واحداً أرسلوه إلى منغوليا ، مات مليون شخص بسبب الخيانة ووضع الخائن حاكمًا على بغداد ولم يعيش الخائن كثيرًا بعد معاملة التتار له كان جلوسه على العرش مجرد جسد ميت لا يقدم ولا يؤخر وكانت الإهانة المباشرة له تأتي من صغار الجند لا من القادة كان هذا يشتمه وهذا يصفعه بعد أن كان الجند والملوك والسلاطين

تقف على بابهِ إنه ثمن الخيانة ولم يتحمل كثيرًا ومات بعد أشهر قليلةً من خيانتِهِ .

- ميلاد دولة :

للدولة عمر مثل البشر حياة وموت بداية ونهاية ويكون فيها الطفولة وهي البداية والشباب وهي قوة الدولة ثم عجز وشيخوخة وهي النهاية وبعضها يولد ضعيفًا ومريضًا يموت في مهده والآخر يولد صحيحًا معافي ولكن مهما يطول عمره أو يقصر تأتي النهاية .

والدول الحديثة تعلمت من أسباب سقوط الدول القديمة فطال عمرها أكثر ولكن كما لكل شيء بداية أيضًا له نهاية.

بسط الفاطميون سيادتهم على مصر في عهد المعز لدين الله الفاطمي، الذي خلف عبيدالله المهدي، حين استطاع قائده جوهر الصقلي فتح مصر سنة ٣٥٨هـ، ٩٦٩م، وأطاح بالدولة الإخشيدية التي شاخت بعد موت كافور وضررها الفقر والمرض والوباء، وأسس مدينة القاهرة سنة ٣٥٨هـ، ٩٦٩م، وقصر القائد المعز الذي انتقل إلى القاهرة سنة ٣٦٢هـ، ٩٧٣م، وجعلها عاصمة له، تنافس عاصمة الخلافة العباسية. وترك أمر المغرب إلى حكم قبيلة صنهاجة البربرية الذين عرفت دولتهم باسم دولة بني زيري نسبة إلى أول ملوكها بلقين ابن زيري الصنهاجي، وأصبح للفاطميين

حكم الشام والحجاز، ولم تكن الخلافة العباسية حتى أيام المستنصر قد سقطت لكن كانت قد شاخت وانهارت أركانها حتى سقطت سنة ٦٥٦ هجرياً وذلك على يد المغول.

وقد زحفوا حتى وصلوا إلى بغداد التي كانت عاصمة الدولة العباسية، وكان يحكمها الخليفة المستعصم بالله .

الذي أرسل إليه هولاء رسالة تحتوي على لغة التهديد والوعيد حتى يسلمهم عاصمة الخلافة العباسية بغداد.

وعندما علم الخليفة أنه ليس في استطاعته صد هذا العدوان ذهب إليه بنفسه لكي يطلب منه الأمان لسكان المدينة عندما يتسلمها وهو الخطأ الذي لا يتعلم منه العرب على مدار التاريخ نفس الذي حدث في الأندلس مع الخليفة أبي عبد الله الصغير مع الفرق أن الأخير لم يقتل مثل ما حدث مع المستعصم انظر ماذا حدث حتى تتعلم الدرس.

وافق هولاء على طلب الخليفة، ولكن عندما فتحت أبواب المدينة، عاثوا في الأرض فساداً، وقتلوا ونهبوا وخرّبوا كل ما تقع عليه أعينهم وهكذا سقطت الدولة العباسية .



المجاعة الكبرى

الشدّة المستنصرية

المكان : المحروسة

التاريخ : (٤٥٧هـ = ١٠٦٤م) إلى سنة ٤٦٤ = ١٠٧١

المدة : سبع سنوات متصلة

النتائج المترتبة على هذه المجاعة : وفاة ثلث سكان مصر .

سبب تسميتها بهذا الاسم : حدوثها في عهد المستنصر .

• الخليفة الفاطمي المستنصر في سطور :

المستنصر بالله أبو تميم معد بن الظاهر لإعزاز دين الله علي بن الحاكم أبي علي منصور ابن العزيز بن المعز العبيدي الفاطمي، وُلد ١٧ جمادى الآخرة ٤٢٠هـ الموافق ٣ من يوليو ١٠٢٩م، وأصبح الخليفة في شعبان سنة ٤٢٧هـ أي وهو دون الثامنة أوذلك على قاعدة توريث الأمر لأكبر الأبناء عند الدولة الفاطمية وفي عهد المستنصر بالله انحسر سلطان الفاطميين عن بلاد الشام باستيلاء السلاجقة عليها وزالت دولتهم في جزيرة صقلية باستيلاء النورمان عليها بزعامة (روجر النورماندي) سنة ٤٦١هـ وعم الوباء الذي يعتبر أطول وباء عرفتة مصر في العصور الوسطى واقترنت

هذه الشدة التي اصطلح المؤرخون تسميتها بسنين الشدة العظمى بقيام الحروب الأهلية حتى تدارك الأمر بدر الجمالي والي عكا وقد استدعاه المستنصر فأعاد النظام وإصلاح البلاداً وتزوج المستنصر ابنته وولدت له ابنه المستعلي أوقد أعقب المستعلي خلفاء منهم المخلوع ومنهم المسموم إلى أن انقضى عهد الدولة الفاطمية سنة ٥٦٤ هـ على يد صلاح الدين الأيوبي وقيام الدولة الأيوبية . (كان الضعف والعجز والمرض أيدب في أوصال الخلافة العباسية السنية بعد أن تقسمت و تفككت الدولة الكبيرة، إلى دول صغيرة والدول الصغيرة تقسمت وصارت ممالك أصغر، لا يربطها بدولة الخلافة سوى الدعاء للخليفة العباسي على المنابر.

وقد شهد هذا الوقت ثلاث خلافات، تنازعت السلطة الخلافة العباسية في بغداد، والخلافة الأموية في قرطبة، والخلافة الفاطمية في إفريقية وفي سابقة هي الأولى في التاريخ أصبح أيوجد للمسلمين ثلاثة من الخلفاء في ثلاثة أماكن مختلفة، يقتسمون الحكم، ويتنازعون عليه مما أضعف وشق صفوف الأمة كلها فأصبح الناس فرقاً أموي وفاطمي وآخر عباسي وما أشبه اليوم بالبارحة.

- خلفاء الدولة الفاطمية في مصر

المعز لدين الله ٣٤١ - ٣٦٥ هـ (٩٥٢ - ٩٧٥ م)

العزیز بالله ٣٦٥ - ٣٨٦ هـ (٩٧٥ - ٩٩٦ م)

الحاكم بأمر الله ٣٨٦ - ٤١١ هـ (٩٩٦ - ١٠٢٠ م)

الظاهر لإعزاز دين الله ٤١١ - ٤٢٧ هـ (١٠٢٠ - ١٠٣٥ م)

المستنصر بالله ٤٢٧ - ٤٨٧ هـ (١٠٣٥ - ١٠٩٤ م)

المستعلي ٤٨٧ - ٤٩٥ هـ (١٠٩٤ - ١١٠١ م)

الأمير بأحكام الله ٤٩٥ - ٥٢٣ هـ (١١٠١ - ١١٣٠ م)

الحافظ ٥٢٤ - ٥٤٤ هـ (١١٣٠ - ١١٤٩ م)

الظاهر ٥٤٤ - ٥٤٩ هـ (١١٤٩ - ١١٥٤ م)

الفائز ٥٤٩ - ٥٥٥ هـ (١١٥٤ - ١١٦٠ م)

العاضد ٥٥٥ - ٥٦٧ هـ (١١٦٠ - ١١٧١ م) وهو آخر الخلفاء

الفاطميين قبل إعلان الدولة الأيوبية .

- الحياة الفاطمية

كان للفاطميين أثر كبير في التاريخ والمصري بشكل خاص، وارتبطت الكثير من العادات والتقاليد بالدولة الفاطمية في مصر حيث أمازال التأثير الفاطمي يظهر في شوارع وحارات مصر حتى الآن أثناء شهر رمضان والمولد النبوي الشريف..

ومازال المصريون يتذكرون موكب حصان الخليفة الذي كان يخرج به في المناسبات الرسمية والاحتفالات الدينية والقومية فيصنعون حلوى تشبه هذا الحصان تباع للأطفال في المولد النبوي.

وارتبط العصر الفاطمي بكثير من الحكايات الشعبية المصرية ويتناقلها الناس من جيل إلى جيل كحادثة نقل جبل المقطم على يد سمعان الخراز والحكايات المرتبطة بست الحسن أخت الحاكم بأمر الله. وغيرها الكثير.

- القاهرة القديمة :

كان للقاهرة ثمانية أبواب لكل جنب من أجنابها الأربعة بابان. ففي الجنوب باب زويلة وباب الفرج. وفي الجهة البحرية: باب النصر وباب الفتوح. وفي الجهة الشرقية: باب القراطين وباب البرقية، أما في الجهة

الغربية فكان فيها باب سعادة وباب القنطرة. وكان من أهم حارات القاهرة الفاطمية حارة الروم، حارة الأمراء، حارة الديلم، حارة الباطلية، حارة الكافوري، حارة قائد القواد، حارة العطوف، حارة الوزيرية، حارة المحمودية باب زويلة أشهر أبواب القاهرة القديمة.

ومنه دخل أمير المؤمنين الخليفة المعز لدين الله إلى العاصمة الجديدة التي أمر بتأسيسها (القاهرة) وعلى هذا الباب قد تم شق طومان باي سلطان مصر من قبل العثمانيين وظلت جثته معلقة ثلاثة أيام ثم دفنت في قبة السلطان الغوري أو تم تعليق رؤوس رسل هولاء قائد التتار .

ولا يدخل من هذا الباب إلا أهل الدولة من الأمراء وعلية القوم من التجار وكان يجلس على المدخل متولى الضرائب للدولة أيام المماليك لهذا كان يطلق عليه عامة الناس باب المتولي. وكان الناس في هذا الزمن أربعة أقسام وهم الأمراء وكبار الدولة والعلماء والشعراء. والجنود والحرس الخاص للأمراء. والتجار وأصحاب الحرف والفلاحين.

- الكنيسة في عهد المستنصر :

البطريك الذي حضر المستنصر و الشدة بعد وفاة-الأنبا زخاريس
البطريك الرابع والستون ١٠٠٤-١٠٣٢ .

الأنبا شنودة الثاني البطريك الخامس والستون ١٠٣٢-١٠٤٦ لما خلا الكرسي المرقسي، تردد الأساقفة في اختيار من يصلح وأخيرًا استقروا على الراهب شنودة المقاري ورفقه إلى رتبة القمصية ثم ساروا به إلى الإسكندرية لرسامته كان حاد الطباع سيء معاملة الناس ذكر عنه تاريخ البطاركة أنه أحب المال وجمع منه الكثير ووهبه لأهله وكان محبًا لمجد هذا العالم... ولم يكن يرسم أسقفًا إلا بعد أخذ مبلغ من المال من المتقدم للأسقفية وغضب منه شعب الكنيسة وقد حضر نقص مياه النيل الأول والغلاء وفي آخر أيامه أصيب بصداع شديد مع سعال، وكان يحس وكأن نارًا تشتعل في رأسه كما لحقه وجع في أذنه، وظل مريضًا لمدة ثلاث سنين إلى أن توفي وكان ذلك في ٢٩ أكتوبر ١٠٤٦ م

- الأنبا خرستوذولوس البطريك السادس والستون ١٠٤٦ - ١٠٧٧

جلس على كرسي البطريك ٣١ عامًا وقد عاصر الشدة المستنصرية وكذلك الوزير اليازوري الذي كان على خلاف معه وكان الوزير رجلًا طاغية كما قال عنه ابن إياس المصري المؤرخ حتى أمر الخليفة المستنصر بقطع رأسه تعرض الأنبا كذلك لمتاعب من الأساقفة أنفسهم، فقد وفد على القاهرة جماعة من الأساقفة واتفقوا على خلع البابا بدعوى أن رسامته

كانت ناقصة، حيث لم تُتَلَّ بعض الصلوات وكان هذا هو السبب الظاهري، أما الحقيقة فكانت توجد خصومة بين الأنا يوحنا أسقف سخا وبين البطريك، حيث كان الأنا خرستوذولوس حازماً في التعامل معه، ولكنه استطاع بذكائه وتدخل أحد المشايخ وهو الشيخ أبوزكري يحيى صاحب ديوان الملكة أن يزيل ما في نفسيهما وصليا قداًساً معاً. وقد عاصر الوزير بدر الجمالي وقد حدث له حادثة أن ادعى ضده أحد المسيحيين عند (بدر الجمالي) أنه على صلة ببلاد النوبة، وأنه أمر بهدم مسجد هناك عن طريق المطران ، وأنه يحول مسلمي الحبشة إلى مسيحيين، فلما أرسل الجمالي ليتحرى الحقيقة وجد أن كل هذا كذب، وكان قد ألقى القبض على البطريك، وهكذا أعاده إلى كرسيه مكرماً وألقى القبض على المدعي . وهو البطريك الذي عاصر الشدة كلها وقد كان رجلاً مخلصاً إلى دينه وشعب الكنيسة وقد اهتم ببناء وتجديد الكنائس القديمة في أول زيارة له إلى القاهرة رأى اتخاذها مقراً للرياسة بدلاً من الإسكندرية، بسبب وجود الحكام المدنيين فيها، واضطراره إلى السفر و للتشاور معهم في شتى المناسبات بوصفه المسئول الأول عن الأقباط جعل وجوده في الإسكندرية أمراً صعباً، ورأى أن يجعل من الكنيسة المعلقة مقراً له ولقد وضع في عهده قوانين طقسية بدأ بإصدارها في أول أغسطس ١٠٤٨ بعد أقل من سنتين

من رسامته، أولها خاص بطقس المعمودية، وآخر خاص بالعبادة وخشوع المؤمنين في دخول الكنيسة، وطاعة الزوجات لأزواجهم، وصوم الأربعين وأسبوع الآلام وطقس الخمسين وصوم الرسل وصوم يومي الأربعاء والجمعة وصوم الميلاد وعيد الغطاس.

منع إضافة أي شيء إلى القربان لأنه كان قد تسرب من الأرض وضع ملح في القربان المقدس.

أبطل عادة الاحتفاظ بقربان أحد الشعانين إلى قداس خميس العهد. سعى إلى زيادة العلاقة بين كنيسة الإسكندرية وكنيسة إنطاكية وافق على أن يذكر كل بطريك الآخر في قداسه.

ماذا كان الحال داخل الحكومة والقصر؟

كان قصر الخليفة من أفخر وأعظم ما عرف في تاريخ الدولة أو الخلفاء في هذا الوقت فكان يضم بين جدرانه أكثر من عشرين ألف نسمة ويقوم على حراسة القصر في كل ليلة ألف حارس ما بين فارس وجندي ويبلغ عدد المساكن حوله نحو خمسة عشر ألف بيت متقنة البناء يفصل بعضها عن بعض الحدائق والبساتين كما كان يوجد عدد كبير من الحوانيت حوله وكان قصره من أفخر وأعظم القصور في تاريخ الخلفاء كانت ثروات

الخليفة أكثر من ثلاثين مليون دينار من الذهب الخالص.

غير التحف والهدايا التي كانت في ساحة القصر و كان الرخام يزين أعمدة القصر وأنفق المستنصر مبالغ كبيرة من ثروته في تجديد جامع عمرو بن العاص في الفسطاط بعد أن تهدمت أجزاء من المسجد لقد كان الخليفة المستنصر رجلاً طيب القلب كانت البداية الأولى لعصر المستنصر بالله بداية زاهية واهتم بالصناعة والزراعة ويرجع الفضل في ذلك إلى الوزير القوي أبي القاسم علي بن أحمد الجرجاني، وكان قد سبق له أن عمل وزيراً في عهد الحاكم بأمر الله وابنه الظاهر، وأضافت له هذه السنوات خبرة ودراية بشئون الدولة فسيطر على الدولة وأحسن سياستها وإدارة شئونها حتى توفي في (رمضان ٤٣٦هـ م ١٠٤٥) بعد وزارة دامت ثمانية عشر عاماً ولقد كان لوفاة أثر كبير على اقتصاد وقوة الدولة بل على الخليفة نفسه لقد كان الخليفة يعتمد عليه في شئون الدولة والخارجين عليه بعد وفاته أصبح ضعف الخليفة واضحاً وأصبحت الكلمة في القصر وخارج القصر إلى أمه وكانت أمه سودانية الأصل تميل إلى بني جنسها وقد أحضرت عبيداً وجنوداً وجواري منهم كان الجند خليطاً من الشام والمغرب والترك وسبحان الله نجوم تسطع وأخرى تموت و جاء محمد اليازوري إلى مصر بعد أن عزل من القضاء وبمساعدة أحد رجال الدولة استطاع أن يكون من

رجال أم الخليفة وعمل في ديوانها ثم في القضاء وسطح نجمه وقوي نفوذه وأصبح وزيراً ثم وزير الدولة وقد عينت أم الخليفة ابنه نائباً له في أعماله وآخر على قضاء القدس وأصبحت الكلمة لأم الخليفة والوزير اليازوري وكان الخليفة لا يسمع ولا يرى وكان هو نفسه سبباً فيما سوف يحدث من فتن بسبب ضعفه نعم كان رجلاً طيب القلب وليس رجل دولة ولا صاحب قرار وفي السياسة الحاكم الضعيف لن تستمر دولته وسوف تنهار أركانها سريعاً جداً لقد تحمل الرجل تبعات قراراته وضعفه وقلة حيلته ولن يجد إلا حصيرة يجلس عليها ويأكل من الصدقة وعندما يدخل عليه أحد الخارجين عليه لكي يقتله ويجده جالساً على الأرض ولا يستطيع الوقوف يصعب عليه حاله ويتركه لقد كان رجلاً طيب القلب تبرع بكل ما يملك من أجل أن يدفن الموتى وكان من الممكن أن يسافر إلى بغداد مع أهله ويأمن بذلك على نفسه وحياته ولكن تحمل تبعات ضعفه أمام رغبات أمه ولكن لا ينفع الندم لأن الجوع والمرض لا يفرقان بين خليفة وصعلوك الكل سوف يجوع ويصف ابن إياس حال الخليفة المستنصر ويقول ألم تجد هذه النفائس التي يملكها الخليفة نفعاً وبقي محاصراً بالقاهرة يتكبد آلام الفاقة والعوز إلى درجة الاستعطاء فطلب إحساناً من إحدى النساء وكانت مشهورة بالغنى والعطاء ولكنها سبقت فوزعت ثروتها على الجياع.. بيد أنها

لم ترفض طلبه فأمرت له بصحن من الشوربة ورغيفين كل يوم لسد جوعه
 أما نساؤه فإنهن من على وجوههن يستجدين فخرجن من القصر
 مكشوفات الرؤوس حافيات الأقدام منسوء الحالة وبمضي الأيام خارت
 قواهن من الجوع فسقطن على الأرض وما تتال واحدة تلو الأخرى فكان
 الجياع يأخذون الذين يسقطون من الموت ويلتهمون لحومهم كالتهام
 الجوارح للجيف..

ولم يبق للخليفة سوى بغلة و غلام و قبقاب و حصيرة فقط..

ونبش الناس قبور الخلفاء الذين دفنوا في مصر وأخذوا النفائس التي
 وجدوها فيها واشتروا بها طعاما وتناولوا إلى ما في أعناق نساء الخليفة وما
 زا لجنوده مجردونه حتى بلغت الفاقة به إلى درجة الاستعطاء ولم يقدر
 الخليفة على حماية نفسه ودفع الأذى عن بيته فاضطره قواد حرسه من
 الأتراك إلى بيع القناطير المقنطرة من النفائس التي جمعها هو وأجداده
 وورثها عن آبائه مما لا يدخل تحت حصر فقسموها على أنفسهم وباعوا
 النفائس الأخرى بأبخس الأثمان.. وكان من هذه النفائس التي استلبها
 الجنود الأتراك خريطة مطرزة بأسلاك الذهب الإبريز ومرسوم عليها جميع
 ممالك الأرض في ذلك الوقت بجبالها وأنهارها ومدنها وشوارعها وقد كان

الخليفة المعز قد أمر بصنعها فصنعت له..هذا عدا السيوف والدروع المرصعة بالأحجار الكريمة والحلي وغيرها مما كان يهديه سلاطين وملوك الأرض إلى الخلفاء..كل هذه النفائس لعبت بها أيدي العابثين من الجنود واستولت عليها وهي لا تعرف لها قيمة وأثناء الاستيلاء على هذه النفائس شبت النار في المفروشات الحريرية فالتهمت النيران ما تبقى منها.

بالطبع لم يكن السبب الوحيد في تلك الكارثة مجرد توقف الفيضان سبع سنوات ولكن كانت سياسة الدولة طرفاً هي الأخرى .كانت الحكومة والوزراء تتغير حسب الرغبة لسيدة القصر وأعوانها كان تدخل أم الخليفة وأعوانها في شئون الدولة وضعف الخليفة ،

و الصراع بين طوائف الجند وأصحاب المناصب والسياسيين على إرضاء أم الخليفة للحفاظ على مناصبهم والطمع في الحكم كلها أسباب من الأسباب الرئيسية فما حدث إنها النفس البشرية وحب التملك والسلطة والنفس أنواع .

النفس الأمارة بالسوء : هي مستقر الشر وهي شيطان النفس ومستقر كل قبح ورذيلة والدافعة لارتكاب الآثام والمعاصي كلها وهي التي تدفع الإنسان لارتكاب المعاصي وكل ما يغضب الرحمن ويثير سخطه .

النفس اللوامة : هي النفس التي تكثر من اللوم لصاحبها ، ومعنى ذلك أن صاحب هذه النفس إذا وقع في الرذائل والآثام توبخه هذه النفس ، وتندم وتستشعر الندم والتقصير في حق الله، وتحث صاحبها على تجديد التوبة والاستغفار والبعد عن الآثام والمعاصي.

نحن هنا أمام كارثة يصنعها عن عمد وإصرار حكام خانوا الأمانة.

كان الخليفة رجلاً طيب القلب لكن كان ضعيفاً والرجل الضعيف لا يصلح رجل دولة. فقد ترك الدولة للفتن والمنازعات ورجال الدولة الأغنياء يتحكمون في عامة الناس وها هو يدفع ثمن ذلك غالباً بقي الوزير اليازوري في منصبه حتى أمر المستنصر بالقبض عليه بوشاية اتهمه فيها أعداؤه بأنه على صلة مع السلاجقة ويدعوهم لغزو مصر. أمر الخليفة بقطع رأسه وكان ذلك في ٢٢ صفر من عام ٤٥٠ هـ : ١٠٥٨ م وبذلك انتهى أمره.

وبعد قتله اشتد حال الفوضى والنزاع بين الوزراء، والفتن بين طوائف الجند. فاختلت الأحوال وتزعزعت أركان الدولة والحكومة وطمع في الحكم كل طامع حتى تعاقب نحو ١٢ وزارة في بضع سنين

قال المقرئزي: «فلما قتل الوزير أبو محمد لم تر الدولة صلاحًا. ولا استقام لها أمر، وتناقضت على أمورها، ولم يستقر لها وزير تحمد طريقته، ولا يُرضى تدبيره، وكثرت السعاية فيها، فما هو إلا أن يستخدم الوزير حتى يجعلوا سُوقَتهم ويوقعوا به الظن، حتى ينصر ولم تطل مدته .

- قصور مياه النيل :

قصور النيل لقد وصل ارتفاع النيل الى ذراعين ولقد تغيرت رائحة وطعم المياه وكانت تظهر به الطحالب الخضراء ثم تكالبت الأوبئة على الناس لم يكن الناس يستفيقون من وباء حتى ينزل بهم وباء أشد ثم اشتد عنفه وبدأت موجة أخرى في سنة ٤٥٧ هجرًا من الغلاء وكثر الموت حتى كان يموت كل يوم ما كان يحصيه ديوان الموارث بعشرة آلاف نفس غير من لا يعرفون من الموت من صعاليك الناس ويقال أن من شدة الموت كان الديوان لا يجد أحدًا يرث الميت لأن كل أهله أصبحوا أمواتًا يا الله ما هذا تخيل معي أن بيتًا كاملًا وعائلة كاملة تموت حتى لا يبقى وريث لها تخيل لو كنت تعيش في هذه المحنة والابتلاء ماذا أنت فاعل وأنت تقف وتشاهد أهلك وكل من تحب يموت أمام عينك وأنت لا تستطيع فعل شيء بل أنت لا تملك أن تنجو بنفسك من هذا البلاء العظيم ثم بارت الأرض لعدم

وجود من يزرعها وعدم وجود الماء وكان الرجل يمشي في الطريق فلا يقابل إنساناً واحداً أصبحت المدن والقرى والأسواق خربة خاوية على عروشها ثم ضرب الطاعون مصر وقرأها فكان يموت في كل يوم ألف إنسان على مدى شهر واشتد الوباء في العام التالي في القاهرة والمدن الأخرى كان يموت الرجل من أهل البيت ثم يموت أهل بيته قبل دفنه بسبب انتشار الكوليرا الوبائية وفي يوم مات عشرون ألفاً وكان المستنصر يتحمل تكفين أكثر من عشرة آلاف نفس يومياً ثم عشرين ألف نفس يومياً حتى افتقر وباع كل ما يملك وتحولت القطائع والفسطاط إلى ديار خربة واشتد نقص النيل وأصبحت رائحة الماء كريهة وكان يصحبها دود وحشرات تخرج مع الماء بالطبع توقفت كل الزراعة لنقص المياه وموت المزارعين وبالتالي ماتت الماشية وكانت جثث البشر والحيوانات على جوانب الطرقات تختلط على بعضها البعض مما ساعد على انتشار الوباء والأمراض وتوقفت الصناعة والتجارة لعدم وجود الحرفيين أو التجار وانتشرت البطالة وبالطبع انتشرت السرقات وقطع الطرق مما أدى إلى تفكك جميع مؤسسات الدولة بما فيها الجيش الذي تفكك تحت الحزبية والصراع القبلي كان الجيش يتألف من الشوام والسودانيين والمغاربة والأتراك وأصبحت كل طائفة تحمل للأخرى الخيانة والغدر والقتل وانهارت قوة

الدولة وطمع فيها وفي الخليفة الكل انهار الاقتصاد فتصاعدت الأسعار تصاعداً لم يحدث من قبل وضربت البلاد في مقتل وعمت المجاعة و الفوضى والمرض في كل مكان في مصر. أصبح الناس يبيعون أطفالهم في الشوارع مقابل الطعام وكانت الدار تباع بطبق دقيق وثمان الدجاج وصل إلى عشرين ديناراً وتزايد السعر حتى بيعت بيضة الدجاجة بعشرة دنانير وأصبح ثمن شربة الماء بدينار وأكل الناس الجيف والميتة من فرط الغلاء بعد أن انتهت من أكل القطط والكلاب أكل الناس بعضهم البعض وعمت الفوضى والجريمة البلاد عجز الناس عن إطعام أنفسهم وإطعام أولادهم ولم يعد يسمع في الشوارع والحارات غير الصراخ والنحيب وصوت عجلات نقل الموتى في كل أرجاء البلاد.

- الهجرة :

وانقطعت الطرق برّاً وبحراً وأصبحت المدن خربة خاوية بعد أن هاجر أهلها أو مات وتكدست الجثث في الطرقات وضرب الطاعون البلاد بسبب تعفن الجثث والقمامة الملقاة في الشوارع والحارات أصبح الوباء في كل مكان في الشوارع والطرقات والحارات أصبحت الناس لا تستحم من قلة المياه ثم توقفت عملية دفن الموتى لموت العمال الذين يعملون في

المدافن وتحولت مدن وشوارع البلد إلى مقابر جماعية ومدن وبيوت الأحياء إلى بيوت للموتى والأشباح وكان الخبز يباع كما تباع التحف وامتدت أيدي قطاع الطرق والجند إلى نهب الأهالي بدل الحماية وسقط القانون في غيابة الجب ووضع قانون الغاباً ورفعت راية واحدة وهي البقاء للأقوى ولا يوجد مكان لضعيف وفر الأهالي إلى العراق والشام والمغرب حتى أم الخليفة وأهله فروا إلى بغداد أ الخليفة نفسه قد باع كل ما يملك من تحف وأثاث وسلاح وصار يجلس على حصيرة ويضع في قدميه قبقاباً مصنوعاً من الخشب الرخيص مثل العامة من الناس وأصبح يعيش على الصدقة بعد أن باع كل ما يملك على دفن الموتى وما أخذه الجند فالجوع لا يرحم أحداً لذلك أرغم الجند الخليفة أن يبيع كل ما يملك حتى يدفع لهم أجورهم وكان يتكلف بتكفين الموتى حتى لا يطرحهم ذووهم في الطرقات فصرف كل ما يملك إلا من حصيرة كان يجلس عليها ولم يبق معه من الخدم و العبيد إلا غلاماً وحماراً يركبه وكانت بنت أحد العلماء تبعث له ببعض الطعام كل يوم على سبيل الصدقة وكان من شدة الجوع لا يقدر على النهوض أو الوقوف....ويروي البغدادي أن وزير البلاد لم يكن يمتلك سوي بغلاً واحداً يركبه فعهد بالبغل إلى غلام ليحرسه إلا أن الغلام من شدة الجوع كان ضعيفاً فلم يستطع أن يواجه اللصوص الذين سرقوا البغل

..... وعندما علم الوزير بسرقة بغله غضب غضباً شديداً إلا أنه تمكن من القبض على اللصوص..... وقام بشنقهم على شجرة وعندما استيقظ في الصباح وجد عظام اللصوص فقط لأن الناس من شدة جوعها قاموا بأكل لحومهم....

ويروي المقريري أن سيدة غنية من نساء القاهرة آلمها صياح أطفالها الصغار وهم يبكون من الجوع لجأت إلى شكمجية حليها وأخذت تقلب ما فيها من مجوهرات ومصوغات ثم تتحسر لأنها تمتلك ثروة طائلة ولا تستطيع شراء رغيف واحد ، فاختارت عقداً ثميناً من اللؤلؤ تزيد قيمته على ألف دينار، وخرجت تطوف أسواق القاهرة و الفسطاط فلا تجد من يشتريه.

وأخيراً استطاعت أن تقنع أحد التجار بشرائه مقابل كيس من الدقيق ، واستأجرت بعض الحمالين لنقل الكيس إلى بيتها، ولكن لم تكد تخطو بضع خطوات حتى هاجمته جحافل الجوع، فاغتصبوا الدقيق، وعندئذ لم تجد مفراً من أن تزاحمهم حتى اختطفوا لنفسها حفنة من الدقيق وحزنت لما حدث من الجماهير الجائعة، فعكفت على عجن حفنة الدقيق و صنعت منها قرصاً صغيراً وخبزته ثم أخفته في طيات ثوبها و انطلقت إلى الشارع صائحة : الجوع الجوع... الخبز الخبز... والتف حولها الرجال و النساء و الأطفال و

سارت معهم إلى قصر الخليفة المستنصر، ووقفت على مصطبة ثم أخرجت قرصًا من ثوبها وأخذت تلوح به وهي تصيح : أيها الناس .. فلتعلموا أن هذه القرصة كلفتني ألف دينار... فادعوا معي لمولاي الخليفة... .

ولم تسلم المكتبة الملكية من العبث ، فأمر ناصر الدولة بنهبها وكان فيها مئات الألوف من الكتب والمخطوطات النادرة فأخذها الجنود وكانوا يتسلون بتمزيقها ولكن أحد قواد الخليفة أنقذ ما تبقى منها وقام بحملها إلى الإسكندرية ولكن في الطريق كان هناك مجموعة من قطاع الطريق الذين انتشروا في طول البلاد وعرضها فاستولوا على الكتب ونزعوا أغلفتها المصنوعة من الجلود الثمينة وحولوها إلى نعال يلبسونها أما الأوراق أشعلوا فيها النار وما بقي منها تركوها في الصحراء ورفعتها الرياح وقد شاهدتها الناس وهي تتطاير على أحد التلال وأطلق الناس فيما بعد على هذا التل تل الكتب أما نساء وجواري القصر خرجن مكشوفات الرؤوس حافيات الأقدام من شدة الجوع.

إنه الجوع الذي لا يرحم أحداً ولا يفرق بين نساء القصر أو نساء بواب القصر نعم أنا معك قد يفرق في أنواع الطعام عندما يكون هناك طعام لكن في الجوع لا فرق وهكذا ضربت البلاد في مقتل جوع ووباء وعطش

وفوضى ويجمع المرض والجوع على من تبقى من الأحياء ليصل خراب
الديار إلى أقصى الذروة وحتى يكتمل الفقر والخراب يقوم صراع بين
طوائف العسكر ويتمرد الجند على الخليفة وتصبح البلاد على أبواب حرب
أهلية وحُوصر المستنصر في قصره ولم يكن الخليفة رجلاً قوياً ولم يبطش
بأحد من الثائرين عليه والمتمردين فطمع فيه وفي الحكم الجند وقادتهم .

الأسوأ لم يأت بعد.

شريعة الغاب .

وتزايدت الحال حتى أكل الناس بعضهم بعضاً.

يقول البغدادي والكلام هنا له.

وحكى لي من أثق به أنه اجتاز على امرأة وبين يديها ميت قد انتفخ
وانفجر وهي تأكل من أفخاذه فأنكر عليها فرعمت أنه زوجها..

فكانوا في بادئ الأمر يقفون بالطرقات فيقتلون من يظفرون به ثم
يقطعون لحمه ويأكلونه .

وكانت جماعة من الناس تجلس بأعلى بيوتها ومعهم حبال فيها
خطاطيف فإذا مر بهم أحد ألقوها عليه ونشلوه في أسرع وقت وشرحوا
لحمه وأكلوه وعرف هذا الزقاق الذي كانت تقوم فيه هذه العمليات بزقاق

القتل وتعقبتهم الشرطة حتى تم القبض عليهم وإعدامهم بعد ذلك ثم تعدوا إلى أكل الصغار وكثيرًا ما يعثر عليهم ومعهم صغار مشويون أو مطبوخون فيأمر الخليفة بإحراق الفاعل.

-وقبض على رجل اتهم بختف ابن جاره وقتله ثم أكله.. فاعترف بأنه اتفق مع أبي الطفل على ذلك وشاركه لحمه فأعدما..

-وقبض على رجل كان يقتل النساء والصبيان ويدفن رؤوسهم وأطرافهم ويأكل لحمهم ثم يبيع الفئاض .. فأعدم - ورأيت صغيرًا مشويًا في قفة مع رجل وامرأة أحضرا لقصر الخليفة فقالا: نحن أبواه.. فأمر بإحراقهما .

ونبش الناس القبور وأكلوا الموتى ونبشوا قبور الخلفاء وأخذوا النفائس الموجودة فيها واشتروا بها طعامًا ثم تناولوا على ما في أعناق نساء الخليفة. ولم يقدر الخليفة على حماية نفسه فقامت القوات الخاصة بحراسته ببيع ما تبقى له من النفائس التي جمعها هو وأجداده وورثها عن آبائه وحتى تعرف حجم الدمار والهلاك الذي أصاب الناس كانت قرى وضواح بكاملها خلت من السكان لموتهم أو هجرتهم إلى المدينة وأغلقت الدكاكين وكان المسافرون يدخلون القرية فلا يرون فيها أحدًا ولا نافخ نار

وأصبحت البيوت مفتحة أبوابها وأهلها موتى ..

مات في هذه الشدة ثلث سكان مصر في هذا الوقت.



نهاية الغمة

اتصل الخليفة المستنصر سرًا بوالي عكا (بدر الجمالي) وكان أرمني الأصل يدين بالولاء للخليفة.. وحمل الخليفة رسوله السري رسالة احتوت على ثلاثة أوامر:

القضاء على الفتنة التي دبت في الجيش.. وقتل الخارجين عليه. وتولي وزارة مصر وكان شرطه الوحيد إلى الخليفة أن يدخل مصر بجيشه وجنوده الذين يثق بهم وكان له هذا فهاجم بدر (مصر) بجيش من أهل الشام عن طريق البحر حتى يفاجئ الجنود الأتراك بالرغم من معارضة قواد جيشه ووصل إلى ثغر دمياط وأنزل بها الجنود وسار في الدلتا ففتك بالقواد الأتراك وبدأ في قتال الخارجين على المستنصر ثم بدأ في إعمار وبناء الجسور التي تهدمت

وساعد الفلاحين والصناع والتجار وعاد الأمن من جديد إلى البلاد وانتهت الغمة.

على أيدي أمير الجيوش سيف الإسلام بدر الدين الجمالي وهو اللقب الذي لقبه به المستنصر بعد أن أوقف التمرد والفوضى وحصن القاهرة وبدأ النيل يعود شيئًا فشيئًا وشيد ثلاثة أبواب ضخمة هي:

باب النصر وباب الفتوح وتم بناؤهما سنة (٤٨٠ هـ : ١٠٨٧ م) وباب زويلة (المتولي) وتم بناؤه سنة (٤٨٤ هـ : ١٠٩١ م) ووجد الكثير من الجوامع وبنى مساجد جديدة في القاهرة والإسكندرية وجزيرة الروضة مثل مسجده الذي بناه بهاله الخاص ويسمى مسجد أمير الجيوش أو (الجيوشي) والذي بناه على حافة جبل المقطم سنة (٤٧٨ هجرية : ١٠٨٥ م) ويشرف الآن على قلعة صلاح الدين الأيوبي.

كما أسس حي الجمالية بالقاهرة الذي سمي باسمه، ومن كثرة حب الناس له كانوا يقولون عندما يلقونه متهللين: ﴿ **وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ** ﴾ سورة آل عمران الآية (١٢٣).

وظل اللقب الذي لقبه به الخليفة (أمير الجيوش سيف الإسلام بدر الدين الجمالي).. ثم تزوج الخليفة ابنته أومكث أمير الجيوش بمصر عشرين سنة وكان سبباً من الله في كشف الغمة، وكان القدر يكتب النهاية له هو والخليفة فقد مات بدر الدين هو والخليفة في سنة واحدة في (١٨ من ذي الحجة سنة ٤٨٧ هـ = ٢٩ ديسمبر ١٠٩٤ م) عن عمر يناهز سبعة وستين عاماً، بعد حكم دام نحو ستين عاماً. وبذلك انتهت أصعب محنة في تاريخ مصر بعد وفاة الخليفة المستنصر، آخر الخلفاء الفاطميين الأقوياء ، قام

الوزير الأفضل ابن الوزير بدر الجمالي بإقصاء أكبر أبناء الخليفة المستنصر نزار من الولاية، و قام بتعيين ابن أخته الخليفة الثاني أحمد المستعلي سنة ١٠٩٥ م - ٤٨٧ هجريًا.

ودارت نزاعات مريرة بين الأخوين قتل فيها نزار و تمكن المستعلي من السيطرة على الحكم، و ينسب إلي نزار، أكبر أبناء الخليفة المستنصر بالله، مذهب الشيعة النزارية ، من هذا الوقت انقسم الإسماعيلية إلى فرقتين : الإسماعيلية المستعلية أتباع الخلافة الفاطمية في مصر، والإسماعيلية النزارية (أتباع نزار) وهؤلاء قد استقروا في قلعة الموت ثم في الشام و عرفوا تاريخياً باسم الحشاشيين، النزاريين وأصبحوا أشد أعداء فاطمية مصر و انتهزوا كل فرصة حتى ينقضوا عليهم.

كان من سوء حظ الخليفة المستعلي أنه قد حمل عبء التصدي للحملة الصليبية الأولى التي اتخذت من الصليب شعارًا لها و عرفت في أوروبا بالحرب المقدسة وأطلق عليها في الشرق الحروب الصليبية التي استولت على القدس سنة ١٠٩٩ م .

جهز الوزير الأفضل بن بدر الجمالي جيشًا لاستعادة القدس و التقى بجيش الفرنجة بقيادة جودفري عند عسقلان و لكن تأتي الرياح بما لا

تشتهي السفن وهُزِمَ الفاطميون هزيمة نكراء و قتل من الجيش الفاطمي ١٠ آلاف، وفر الوزير الأفضل غرباً حتي عاد إلي القاهرة. و بذلك تقلصت أملاك الخلافة الفاطمية لتشمل مصر و الجزيرة و اليمن فقط.

لم يدم حكم المستعلي لمصر لأكثر من ست سنوات فقد توفي سنة ١١٠١ م / ٤٩٥ هجرياً، و خلفه ابنه الأمر بأحكام الله على الحكم.

- الخليفة الأمر بأحكام الله الفاطمي :

تولي الأمر بأحكام الله حكم الفاطميين سنة ١١٠١ م بعد وفاة أبيه المستعلي، و وقع الخليفة تحت نفوذ الوزير الأفضل بن بدر الجمالي الذي سبق و أن سيطر علي الخليفة المستعلي.

و لكن الصراع بينهما وصل لذروته عندما تنازل الوزير عن إيمانه بالمذهب الشيعي و تحديه بالتالي لشرعية الخليفة. فما كان من الخليفة إلا أن تأمر على قتله، و كان ذلك سنة ١١٢١ م / ٥١٥ هجرياً. و عين الخليفة الوزير مأمون البطائحي مكانه.

و لكن ما لبث أن انقلب على الوزير المأمون و ذاق من نفس الكأس و اغتيل سنة ١١٢٥ م / ٥١٩ هجرياً. و اختلفت الروايات و لا يعرف علي وجه التحديد أو اليقين من قتله، هل هو؟ الخليفة الأمر بأحكام الله بسبب

إسرافه في جمع المال، أم ابن الوزير الأفضل بن بدر الجمالي انتقاماً من مشاركة المأمون في قتل أبيه.

و استكملاً لسلسلة المؤامرات و الاغتيالات التي سادت في ذلك العصر، انتهى الأمر بالخليفة الأمر بأحكام الله أن اغتيل علي يد أعدائه من فرقة الحشاشين بينما كان عائداً يوماً من جزيرة الروضة إلى قصره سنة ١١٣٠ م / ٥٢٤ هجرياً، ودخلوا به القصر لكنه مات بعدها بأيام قليلة على إثر الإصابات وخلفه ابن عمه الخليفة الحافظ لأن الخليفة الأمر لم يكن له ولد. و من أهم أعمال الخليفة الأمر بأحكام الله إنشاؤه الجامع الأقرم سنة ٥١٩ هج / ١١٢٥ م في شارع المعز الذي تعد واجهته من أروع الواجهات في فن العمارة الإسلامية .

- الخليفة الحافظ لدين الله الفاطمي :

تولي الخليفة الحافظ لدين الله الحكم بعد اغتيال ابن عمه الخليفة الأمر بأحكام الله سنة ١١٣٠ م . و لكن الوزير أبا علي بن الأفضل ابن بدر الجمالي سيطر علي مقاليد الأمور و حد من سلطات الخليفة حتي أنه اعتقله و سجنه سنة ١١٣٠ م ، كما اضطهد أبو علي بن الأفضل الشيعة في مصر حتي قتله المتمردون الشيعة و أطلقوا سراح الخليفة.

لما قتل أبو علي بن الأفضل جعل الخليفة بهرام الأرمني وزيراً على مصر سنة ١١٣٦ م / ٥٣١ هجرية، ولكنه اضطهد المصريين وانحاز إلى بني جلدته من الأرمن و كثرت مظالمه، و عاونه على ذلك ثلاثون ألفاً من الأرمن الذين أخذوا في نهب الأموال و الاعتداء علي الممتلكات حتى ثار الناس عليه وعلى الأرمن. فأمر الخليفة جيشه بمحاصرة القاهرة و طرد بهرام و الأرمن خارجها.

توفي الخليفة الحافظ لدين الله سنة ١١٥٠ م / ٥٤٤ هجرية و تولى ابنه الظافر حكم مصر.

- الخليفة الظافر الفاطمي :

أصبحت الخلافة الفاطمية على شفا الهاوية والنهاية، فالوزراء يسيطرون على الخلفاء، و الخلفاء يدبرون المكائد للوزراء. و ما حدث في عهدي الخليفة الظافر و الفائز هو مثال لحجم الكارثة وبداية انهيار داخلي وخارجي وبداية نهاية لسقوط دولة ظلت تحكم حوالي نصف العالم الإسلامي لمدة ٢٠٠ عام من الزمان.

تولي الخليفة الظافر سنة ١١٥٠ م / ٥٤٤ هـ. و بدأ عهده بالمكائد فقد أوعز إلى صديق له يدعى نصر بن عباس أن يقتل الوزير ابن السلار لأنه

سني مخالف لمذهب الفاطميين الشيعي. فقام نصر باغتيال ابن السلار ، و بالتالي أصبح أبوه العباس (أبو نصر) وزيراً فاطمياً. و لكن الخليفة عاد و حرض نصر علي قتل أبيه العباس. و اكتشف العباس المؤامرة و بدأ في الهجوم المضاد على الخليفة الظافر فقال عباس لابنه نصر لقد أكثرت من ملازمة الخليفة حتى تحدث الناس في حقك معه بما أزعج نفسي، وأن الناس يعتقدون أن الخليفة يتعامل معك معاملة الرجال مع النساء وربما يتناقل الناس ذلك ويصل إلى أعدائنا منه ما لا يزول وأخذته حدة الشباب؛ فقال نصر لأبيه بعد أن أخذته حدة الشباب أيرضيك قتله. فقال لك الحق أن تزيل عنك التهمة كيف شئت فقتله سنة ١١٥٤ م / ٥٤٩ هجرياً.

دبر نصر لقتل الظافر باستدعائه إلى داره سرّاً ومعه عدد بسيط من الخدم وأستاذان من الأئمة من أجل النزهة في منزل نصر حضر الخليفة إلى القصر ومعه بعض الخدم ثم أغلقت عليهم أبواب القصر وأمر نصر بن عباس رجاله بقتل الخليفة وقتل خدمه ما عدا أحد الخدم الذي استطاع الفرار، وألقى نصر جسد الخليفة والأئمة في بئر القصر، وغطى البئر بقطعة من الرخام ، ثم ذهب لإخبار أبيه العباس أن عملية الاغتيال قد تمت على أكمل وجه ومن المؤسف أنه عندما تم اغتيال الخليفة الظافر، كان يبلغ من العمر ٢١ عاماً.

ولم يقف المشهد عند هذا الحد بل تبع ذلك مسلسل من القتل والانتهاكات إلى أخوات الخليفة والمقربين من القصر وقد قصد به تمثيل وتشويه الحقيقة كثرت الأقاويل وعرف العامة والخاصة من الناس الحقيقة وما قد حدث ، فاستوحش الناس قتل هؤلاء الأئمة والخدم واستغاثت نساء القصر بالصالح طلائع بن رزيك والي الأشمونين والبهنسا وبعثوا له شعورهن فلبس السواد وسار إلى القاهرة حافي القدمين، . وكان طلائع بن رزيك والياً على الأشمونين والبهنسا؛ فتحرك حاشداً إلى عباس، وهو يلبس السواد ويحمل شعور النساء حرم الخليفة على الرماح وأحضر معه رجالاً من كل فج، . فانهار عباس وتفرق الناس عنه، وصار الناس تسمعه المكروه في الطرقات ؛ فقال العباس: ما بقي بعد هذا شيء. فصار يدبر كيف يهرب. فحال الفرنج بينه وبين طريقه، فقاتل حتى قتل وأسر ولده نصر، وفاز الفرنج بما كان معهم من أموال وسلاح.

ودخل طلائع القاهرة بالأعلام السوداء، وشعور نساء أهل القصر الفاطمي على الرماح وأخرج الظافر من البئر وصلّى عليه، وطلب ابن الخليفة وأهل القصر من الفرنج إرسال نصر ابن عباس فبعثوا به إليهم فصلبوه على باب زويلة، واستطاع بن رزيك أن يسيطر على شؤون الحكم في

مصر، ولم تنته المؤامرات والصراعات والانتقام وتصفية الحسابات خلف الظافر ابنه الفائز، واستطاع القبض علي نصر، وقام بصلبه.

وفي عهد الخليفة الظافر فقد الفاطميون آخر معاقلهم في فلسطين وهي عسقلان عندما سارع بلدوين الثالث ملك إمارة بيت المقدس بالزحف على عسقلان ومحاصرتها واقتحامها سنة ١١٥٣ م / ٥٤٨ هجريًا.

- رأس الإمام الحسين :

ومن الروايات التي اختلف عليها الناس أن الحامية الفاطمية بعسقلان قامت بنقل رأس الإمام الحسين- رضي الله عنه-إلى القاهرة عندما علمت بقرب اقتحام الصليبيين للمدينة سنة ١١٥٣ م . وأن الخليفة الفائز أمر بحفظ رأس الإمام الحسين- رضي الله عنه- في علبة في أحد سرايب قصر الزمرد إلي أن تم بناء مشهد لها وهو مسجد الحسين الآن. وأولاً اختلف العلماء على وجود رأس الإمام الحسين- رضي الله عنه- هل هي في عسقلان أو في المدينة أو في القاهرة. ذكر عمر بن أبي المعالي أسعد بن عمار في كتابه "الفاصل بين الصدق، والميّن في مقر رأس الحسين" أن جمعًا من العلماء كابن أبي الدنيا، وأبي المؤيد الخوارزمي، وأبي الفرج بن الجوزي قد أكدوا أن الرأس مقبور في البقيع بالمدينة أ. وتابعهم على ذلك القرطبي .

وقال الزرقاني: قال ابن دحية: ولا يصح غيره. وشيخ الإسلام يميل إلى أن الرأس قد بعث به إلى واليه على المدينة عمرو بن سعيد وطلب منه أن يقبره بجانب أمه فاطمة الزهراء- رضي الله عنها- والذي جعل شيخ الإسلام يرى ذلك هو: "أن الذي ذكر أن الرأس نقل إلى المدينة هم من العلماء والمؤرخين الذين يعتمد عليهم مثل الزبير بن بكار، صاحب كتاب الأنساب، ومحمد بن سعد كاتب الواقدي صاحب الطبقات، ونحوهما من المعروفين بالعلم والثقة والاطلاع، وهم أعلم بهذا الباب، وأصدق فيما ينقلونه أو بذلك يكون رأس الحسين مقبوراً بجانب أمه فاطمة الزهراء- رضي الله عنها- المراجعة مواقف المعارضة في خلافة يزيد بن معاوية ص ٣٠٦-٣٢٥.

- الخليفة الفائز بنصر الله الفاطمي :

جاء الخليفة الفائز إلي الحكم و عمره ستة أعوام بعد اغتيال أبيه الظافر، و لكن نساء القصر سارعن بطلب حضور الأمير طلائع بن رزيك ، أحد أمراء الدلتا، ليتولى الوزارة.

ظل الفائز يحكم مصر لمدة ستة أعوام عن طريق أوصياء العرش، ثم مرض و مات ويقال أنه كان مريضاً بمرض الصرع وكانت وفاته سنة ١١٦٠ م / ٥٥٥ هجرياً، و خلفه ابن عمه العاضد آخر الخلفاء الفاطميين.

- الخليفة العاضد بالله الفاطمي ونهاية الخلافة الفاطمية

انتقلت الخلافة الفاطمية في مصر إلى الخليفة العاضد سنة ١١٦٠ بعد وفاة الخليفة الفائز. وكان وزيره في تلك الفترة طلائع ابن رزيك الذي نجح في إخماد الفتن و إنهاء حالة الفوضى التي عاشت فيها البلاد في عهدي الخليفة الظافر و الفائز.

إلا أن المؤامرات ما لبثت أن حيكّت ضد طلائع ابن رزيك و شارك فيها الخليفة الفاطمي نفسه، و انتهت بقتل طلائع و تولي الوزارة أبو شجاع (العادل) بن طلائع، إلا انه لم يمكث أكثر من سنتين و خلعه شاور الذي كان حاكماً على الصعيد و تولي الوزارة مكانه.

ثم صار الأمر إلى صراع مرير بين شاور و ضرغام، أمير فرقة جند مغاربة، على كرسي الوزارة. حتي أنهم استعانوا بالفرنجة في بيت المقدس و نور الدين محمود زنكي في الشام ضد بعضهم البعض ليستولوا علي وزارة مصر. فما كان من نور الدين محمود زنكي إلا أن انتهز هذه الفرصة و أرسل

إلى مصر جيوشاً متتالية بقيادة أسد الدين شيركوه و ابن أخيه صلاح الدين الأيوبي ليستقط الخلافة الفاطمية المترنحة و يضم مصر إلى الشام تحت إمرته لقتال الفرنجة.

تمكن أسد الدين شيركوه من صد الحملات الأوربية الطامعة في مصر و خلع شاور من وزارة مصر و تولى الوزارة بنفسه بمباركة الخليفة الفاطمي العاضد بالله الذي كان مريضاً و مشرفاً على الموت. و بعد تعيينه بشهرين وزيراً علي مصر توفي أسد الدين شيركوه، و خلفه ابن أخيه صلاح الدين الأيوبي علي وزارة مصر في ٢٦ مارس عام ١١٦٩م / ٢٥ جمادى الآخر ٥٦٤هـ جرياً، وكان عمر صلاح الدين وقتها واحداً و ثلاثين عاماً.

أرسل نور الدين محمود إلى صلاح الدين يأمره أن يقوم بتحويل البلاد إلى المذهب السني و الدعاء للخليفة العباسي في خطبة الجمعة بدلاً من الخليفة الفاطمي، ولكن صلاح الدين طلب الانتظار حتى لا يغضب شعب مصر وأنه سوف ينتظر حتى موت الخليفة المريض و لكن نور الدين رفض التأجيل و خشي أن يكون صلاح الدين يماطل فهدده أنه سوف يسير إليه بحملة ، و أرسل إماماً سنياً من الموصل إلى مصر في أول جمعة من شهر المحرم

سنة ٥٦٧ هجريًا الموافق ١٠ سبتمبر ١١٧١ م ، فاعتلى المنبر في مسجد القاهرة و دعا للخليفة العباسي بدلًا من الخليفة الفاطمي.

بعد ذلك أمر صلاح الدين بالدعاء للخليفة العباسي في خطبة الجمعة ، وكان في هذا الوقت قد اشتد المرض على الخليفة الفاطمي المنكوب العاضد فلم يعلمه أهله أو يخبره أحد في القصر بما يحدث و توفي الخليفة العاضد بعد ذلك بعدة أيام في ١٠ من المحرم عام ٥٦٧ هـ. / ١١٧١ م وقد رحل عن الدنيا وهو لا يعلم بما حدث و أنه كان آخر الخلفاء الفاطميين كان العاضد الخليفة الفاطمي الرابع عشر و آخر الخلفاء الفاطميين وبذلك انتهت بموته الخلافة الفاطمية في مصر و التي استمرت حوالي ٢٠٠ عام كان الحكم الفاطمي حكمًا قويًا حتي وفاة الخليفة المستنصر بالله ، خامس الخلفاء الفاطميين، سنة ١٠٩٤ م .

وبعد ذلك اضطرب الحكم اضطرابًا شديدًا، و انتقلت السلطة الحقيقية إلى الوزراء فأصبحوا المسيطرين الحقيقيين على الدولة. وأصبح العصر الثاني الفاطمي بعد وفاة المستنصر الحكم فيه للوزراء وكثرت فيه الفتن والمؤامرات على الخلفاء من الوزراء ومن الوزراء على الخلفاء وانتشر القتل والعزل وكان العدو على الأبواب وكان من في الداخل لا يسمع أو يشاهد

غير الكرسي والحكم وبذلك كانت النهاية وانطفأ نجم الدولة الفاطمية
وأضاء نجم الدولة الأيوبية .

علمتني الحياة أن أحيأ على ضوء شمعة بضمير أشرف من أن أحيأ بلا
ضمير تحت أضواء قصر .

ماذا يريد الإنسان من هذه الدنيا؟ سؤال صعب وجوابه هو الأصعب
منه أهل جلست في يوم لكي تسأل نفسك هذا السؤال ماذا تريد من حياتك
ولكي يصبح السؤال أصعب هل أنت سعيد في حياتك وهل أنت راضٍ بما
أنت عليه ألا أعرف عدد الجلسات التي جلستها مع نفسي ومن منا لم يفعل
هذا عندما تمر الذكريات وشريط الحياة أمام عينك تجد أهوالاً من الكوارث
التي فعلتها والقرارات التي قد اتخذتها وتتمنى لو يعود بك الزمن حتى
تستطيع أن تغيرها تريد أن تعود إلى الماضي لكي تسحب الثقة من بعض
البشر الذين أعطيتهم الأمان والحب والثقة وقد خانوا كل هذا، تريد أن
تعود حتى تغير أصدقاء أعطيتهم الكثير والكثير ثم تحالفوا ضدك مع أشد
أعدائك تريد أن تعود لكي تغير قرارات كانت في وقتها مجرد قرارات
ولكنك اكتشفت بعد ذلك أنها كانت قرارات مصيرية وإذا لم تتخذها بهذا
الشكل لتغير شكل حياتك تريد أن تعود لكي تمنع نفسك من معرفة

شخص سوف يقلب لك كل حياتك ولكن بعد كل ذلك لم تجب على
السؤال ماذا تريد من حياتك؟

إعلم أن ما وصلت إليه لم تكن لتصل إليه إلا بمراد الله - سبحانه - ثم
جهدك وتعبك واعلم أنه لا أحد يصل إلى نهاية السفر والرحلة بدون وجهة
وهدفك في الحياة هو وجهتك فأحسن الاختيار حتى تصل إلى الهدف.



مجاعة الصين الكبرى التي استمرت ثلاث سنوات

الكارثة: المجاعة الكبرى

التاريخ: ١٩٥٨م إلى ١٩٦١م

النتائج المترتبة: ٣٠ إلى ٤٠ مليون حالة وفاة

المدة: ثلاث سنوات

- ثلاث سنوات من الكوارث

امتدت في السنوات ما بين ١٩٥٨ و ١٩٦١ المجاعة الشاملة، حيث ساهم الرئيس وسياسات الحزب الشيوعي في المجاعة وأحلام القفزة الكبرى وتحويل الصين من دولة زراعية إلى دولة صناعية وعدم التخطيط من الحكومة كانت سبباً في أكبر كارثة لأكثر مجاعات العصر الحديث وفقاً لإحصائيات الحكومة كان هناك ١٥ مليون حالة وفاة في تلك الفترة ولكن قدر الباحثون عدد ضحايا المجاعة ما بين ٣٠ إلى ٤٠ مليون حالة وفاة ما بين عام ١٩٥٨ إلى عام ١٩٦٢ ولكن البداية كانت قبل ذلك عندما احتل الجيش الأحمر العاصمة بكين ثم صعود الحزب الشيوعي إلى السلطة بقيادة ماوتسي تونغ وبدأ في تقسيم الأراضي على الفلاحين مما أغضب أصحاب الأراضي و أحدث الفوضى في البلاد وتدخل الجيش وتم إعدام مليون

شخص مما أحرص المعارضين لماو تسي أوبعد ذلك ذهب ماو تسي إلى رأس الشيوعية جوزيف ستالين ورغم المعاملة السيئة التي عومل بها ماو تسي هناك إلا أنه بعد أن عاد إلى الصين كان يريد لها روسيا أخرى وقد تم الاتفاق مع الحزب الشيوعي الروسي أن يرسل معدات وآلات زراعية وصناعية وبذلك تضاعفت الديون على الصين وبدأ فكرة المزارع المجمعة مثل الحزب الشيوعي في روسيا وبدأ الحزب الشيوعي الصيني في تجميع الأرض مرة أخرى من الفلاحين مما أثار غضبهم وحفيظتهم على الحزب ومثل أي حاكم ديكتاتور فكر ماو في فكرة حملة المائة وردة وهي السماح للمعارضة بأن تقول ما تريد ضد الشيوعية وبدأ المعارضون يأكلون الطعام فخرجوا عن الصمت وبدأت المعارضة انتقاد ماو نفسه وهنا انقض عليهم الذئب العجوز وقال أنهم أعداء الوطن وليس أعداء ماو تسي وبدأ الجيش في اعتقالهم ويقال أن ٧٠٪ منهم لم يرجعوا إلى بيوتهم مرة أخرى وبشهادة الناجين أنهم كانوا يموتون داخل المعتقل ويدفنون في الصحراء

بعد ذلك كان هناك موعد آخر مع القدر مات الحليف الروسي ستالين مات أكبر ديكتاتور شيوعي في هذا الوقت وجاء خروتشوف وتميز حكمة بالمعاداة الشديدة للستالينية وبذلك تم إلغاء كل قرارات ستالين وإلغاء

فكرة الأراضي المجمعة وقام بإرساء الدعائم الأولى لسياسة الأراضي في
روسيا

ونصح الرئيس الروسي خروتشوف الرئيس الصيني ماو أن يتراجع
عن هذه الفكرة ولكن ماو لم يستمع له وهنا تبدل الود والصدقة وأصبح
هناك عداء صريح وتحذُّ بينهما ثم أصدر الرئيس الروسي قرارًا برجوع
المستشارين الروس من الصين ولكن ماو تسي أصر على فكرة القفزة
الكبرى وبدأ جنون العظمة يجتاح ماو تسي يريد أن يصنع الفولاذ بكميات
كبيرة وكذلك القمح للتصدير جعل العمال والفلاحين يعملون من بعد
الفجر حتى دخول الليل وجعل الطعام في مجمعات وسحب الأواني من
البيوت حتى لا يتم الطبخ في البيوت ووضع الأطفال في تجمعات حكومية
وخرج الأب والأم إلى العمل وبدأت الأصوات تعلق عن نقص الغذاء بعد
أن سحب الفلاحين من الأرض إلى العمل في مصانع الفولاذ وإنشاء
الطرق والسكة الحديد وأصبح الحزب نفسه يعارض فكرة القفزة الكبرى
ولكن لم يستمع ماو إلى أحد وبدأ الناس في اصطیاد عصافير الدوري من
الأراضي لتوفير الطعام مما جعل انتشار الحشرات الضارة في المزارع تنتشر
وانتشر معها البعوض والأمراض واختلت الطبيعة وكان لا بد لها من رد
هي الأخرى وبدأت الديون تزداد وتتضاعف أكثر وأكثر على الدولة

والناس تتساقط وماو تسي لا يريد أن يتراجع عن فكرة القفزة الكبرى وزاد القحط واشتدت المجاعة وأصبح الموتى بالملايين ومازال ماو تسي يغض الطرف ولا يريد أن يتنازل وبدأ يصل إلى مسامح العالم أن الصين بها مجاعة بدأت الصحافة والمراسلون الأجانب يتوافدون على العاصمة بكين وخرج عليهم ماو تسي تونغ يؤكد أن الصين ليس بها أي مجاعة وكان يستقبل المراسلين أحسن استقبال وترجع الوفود والمراسلون إلى بلدتهم ومانشيتات صحفهم وإذاعاتهم تقول بأن الصين ليس بها مجاعة وفي عام ١٩٥٩ كانت المجاعة قد وصلت إلى الذروة ومازال لا يريد أن يتراجع ولكن نائب الحزب الشيوعي والحزب بدأوا الضغط عليه حتى توقف عن فكرة القفزة الكبرى بعد أن تكبد الشعب الصيني خسارة أكثر من ٤٠ مليون حالة وفاة . ثم اعتقل نائب الحزب بعد ذلك وجعل الناس تتظاهر ضده ثم مات الرجل في السجن لأنه قال له أنت وأنا والحزب السبب في المجاعة ومازال في الصين من عاش هذه المجاعة وشاهد أهله وأحبته يموتون أمام عينه ليس في حادث أو مرض ولكن من الجوع ماتوا من الجوع لأجل حلم شخص مجنون بجنون العظمة ومعه ضعاف النفوس إنه الجشع وحب النفس وعدم الاعتراف أنك على خطأ ومرت الأعوام الثلاثة ورجعت الأمور في التحسن رويداً رويداً حتى عام ١٩٦٢ انتهت

المجاعة من الصين ولكن ستظل صفحة في التاريخ ولن تمحو سجلاتها
 أسماء من تسبب بها ورغم ذلك بعد أن عرف العالم كله الحقيقة وما حدث
 في هذا الوقت مازال كثير من الشعب الصيني يعشق ماو تسي تونغ وكانت
 جنازته في سبتمبر ١٩٧٦ من أكبر الجنازات التي قامت في الصين حتى بعد
 سقوط الشيوعية في العالم والجيش الأحمر وفشلهم المروع مازال هناك ناس
 ينادون بالشيوعية حتى يومنا هذا.

- علمتني الحياة

أن أصبر على تقلباتها ، فإن وراء كل حزن فرح ووراء كل باب مغلق
 أمل يضيء ظلمات الطريق.

تعلمت أن كل يوم أعيشه هو هبة وعطية من رب العالمين ويجب أن
 أستغلها وتعلمت أن الحياة هي رحلة قصيرة جداً فلا يجب أن أحمل همها .
 علمتني الحياة أن الحزن يرحل والفرح يرحل وما بينهما هو ما أعيشه.

الشيخ كشك والراهب متى المسكين رجل على عقيدتي والآخر على
 غير ذلك الأول فارس المنابر وقامة كبيرة جداً وأنا أصغر أن أتحدث عنه
 والآخر بالنسبة إليّ أيضاً قامة كبيرة وأنا أصغر أن أتكلم عنه ولكن ما
 جعلني أذكرهما هو عندما أقرأ لهما أو أسمعهما أجد كلاهما طيب القلب

وأشعر بصدق عندما يتحدث أحد منها الراهب متى المسكين أختلف معه
نعم في العقيدة ولكنني أصدق أنه رجل طيب متواضع قد تعلمت منه ومن
الشيخ الجليل الإخلاص لما أومن به تحية إليهما وإلى طيبة القلب



مجاعة البطاطس

الكارثة: مجاعة أيرلندا أو مجاعة البطاطس

التاريخ: ١٨٤٥ م إلى ١٨٥٢

المكان: أيرلندا

النتائج المترتبة على المجاعة: مليون ونصف حالة وفاة .

لم تكن أيرلندا البلد الوحيد الذي عانى من مجاعة. فقد اجتاحت المجاعات العالم ولكن مجاعة البطاطس كانت مفاجئة مات أكثر من مليون ونصف إنسان وهاجر مثلهم إلى بريطانيا والولايات المتحدة بحثًا عن لقمة العيش في بداية القرن التاسع عشر قد سيطرت بريطانيا على قسم كبير من الأراضي بما فيها أيرلندا وأصبح كبار ملاك الأراضي الزراعية من الإنجليز وكان الرجل الإنجليز يئوِّجر الأرض للعائلات الأيرلندية ويطلب إيجارًا مرتفعًا وعندما يعمل المواطن الأيرلندي في أرض الرجل الإنجليز يدفع أجرًا منخفضًا وهي عادة الإنجليز على مر العصور إذا نظرت إلى كل دولة احتلتها بريطانيا تجدهم قد عاشوا على امتصاص دماء أصحاب هذه البلاد وتحويل مدخرات الشعوب إلى بلدهم بريطانيا المملكة التي كانوا يلقبونها الإمبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس ولكنها غابت في ليلة

بلا قمر وأصبحت الآن تابعًا وهي من حكمة الله على الناس أن الأيام تتداول فيما بينهم فتأمل معي لو أن شخصًا ما ظل قويًا ولا يشيخ وظل محتفظًا بقوته وكل يوم يزداد قوة على عكس الإنسان الذي كل يوم يكبر يزداد ضعفًا تخيل معي ماذا هو فاعل بكل هذه القوة التي تزيد والمثال على ذلك قارون وما فعل عندما اغتر بقوته وماله من أجل ذلك جعل الله الأيام تتداول ولا يوجد شيء ثابت الكل قابل للتغيير فيما عدا الثوابت التي لا تقبل التغيير.

كان الشعب الأيرلندي يعيش حالة فقر شديدة لا يملك شراء اللحم أو حتى الألبان واعتمد على زراعة البطاطس وأصبحت البطاطس هي الطعام الذي يعتمد عليه العامة من الناس هي بالنسبة للشعب الأيرلندي الأرخص والمحصول الأوفر في الزراعة والأغنى بالمواد الغذائية اعتمد الشعب على محصول البطاطس لطعام المواشي وحيوانات الزراعة مع قليل من المحاصيل الأخرى زرعت ثلث الأراضي بمحصول البطاطس وأصبح الشعب يعتمد على هذا المحصول وكان كثير من البيوت تعتمد على البطاطس كطعام كامل إنها بداية مأساة ماذا يفعل هؤلاء الناس لو أخفق محصول البطاطس ماذا يحدث؟ النتيجة معروفة دولة بأكملها تجوع .

- إخفاق المحصول

إخفاق محصول البطاطس الأول كان عام ١٨٤٥ وكان يحدث إخفاق بين الحين والآخر لكن كانت تأتي المساعدات وتصلح الوضع ولكن هذه المرة أصبح الوضع خطيراً أصاب المحصول الفطر وهو عفونة البطاطس أو الآفة التي تصيب المحصول انتشر هذا الفطر من حقل إلى آخر وكانت الحقول مزروعة من نوع واحد ومن نفس درنات الزراعة تعفن المحصول في الأرض أما التي في المخازن كانت تذوب من فعل الآفة وضربت الأمة كلها حاولت الحكومة أن تقلل من هذا الإخفاق بمساعدة العاطلين وتقديم الطعام المتاح وهو قليل مات كثير من الناس لقلة الطعام والعلاج وبدأ أصحاب المزارع المستأجرة طرد العمال والمستأجرين لعدم دفعهم الإيجار وفي العام التالي أخفق المحصول مرة أخرى وطرد آلاف المزارعين لأنهم لم يستطيعوا دفع الإيجار وبدأت أموال الحكومة المخصصة للإغاثة تنفذ وانقطع الطعام المجاني من الحكومة حتى تصل الأحداث والمحنة إلى الذروة.

- الهجرة الجماعية

أصبح العيش في أيرلندا مستحيلاً الموت في طول البلاد وعرضها أصبح الوضع مأساة كان الهجرة من أيرلندا إلى الولايات المتحدة هو الحل لكثير منهم كانت الهجرة إلى الولايات المتحدة موجودة من قبل المجاعة ولكن كانت أعداداً قليلة ولكنها تضاعفت بعد المجاعة ولكي تعرف حجم المأساة فقد ماتت أعداد كبيرة من الناس وألقيت جثثهم في البحر مات الكثير من الناس الهزيلة التي أضعفها الجوع والمرض و لم تتحمل الرحلة في البحر وكانت السفن التي تأتي من أيرلندا تسمى التوابيت لكثرة الموتى فيها وضرب التيفوس أو الإسقربوط أو الكوليرا البلاد .

- الخروج من الأزمة

بعد كل ذلك نجح المحصول وبدأ المزارعون الزراعة من جديد وأسقطت الحكومة أي ديون كانت على الفلاحين أثناء المجاعة وبدأ المحصول في التعافي من جديد وهكذا خرجت أيرلندا من مجاعة البطاطس وهذه الكارثة وتصبح صفحة من صفحات التاريخ التي لا تمحى من سجلات التاريخ.

- الرضا بقضاء الله

إن كنت لا تملك وسيلة نقل فغيرك مبتور القدمين ، وإن فقدت ولدًا فغيرك فقد عددًا من الأولاد في حادث واحد .

من أصول الإيمان أن يؤمن الإنسان بالقدر خيره وشره وأن يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه وأن الأمر كله يرجع إلى الله - عز وجل - وأن لله الحكمة البالغة فيما أصاب العبد من خير أو شر والمصائب على نوعين النوع الأول أن تكون تكفيرًا لسيئات كما في قوله تبارك وتعالى: ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴾ .

وقوله تعالى ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ .

والنوع الثاني أن تكون المصائب ليست عقوبة لسيئات وقعت من الشخص ولكن لزيادة رفعة في درجاته وليحصل على وصف الصبر والصابرين الذي أثنى الله على القائميين به وقال: ﴿ إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ .

يجب على الإنسان أن يعلم أن هذه الحياة هي مجرد صفحة وسوف
تنتهى في يوم من الأيام سواء طال هذا اليوم أو قصر وأنه مهما حدث له فيها
من كرب أو محنة سوف تنتهى لا تسخط لو أصابك كرب فغيرك أصابه
المرض والفقر والجوع والله في صفحات التاريخ أهوال من المحن
والمصائب ومع ذلك انتهت وأصبحت ذكرى على الورق ومات أصحابها
وقد تركوا لنا العبرة من قصص حياتهم لا تحزن على ما فات ولكن اعمل
على أن تصلح القادم وإلى صفحة أخرى من سجلات التاريخ التي لا
تمحى.



صنع يد الإنسان مجاعة من مجاعة الثلاثينيات

التاريخ: ١٩٣١م إلى ١٩٣٣م

النتائج المترتبة على الكارثة: ثلاثة ملايين حالة وفاة

المكان: أوكرانيا

- صنع يد الإنسان

قتلت المجاعة في أوكرانيا أكثر من ثلاثة ملايين إنسان ولم تكن مجاعة
أوكرانيا هي المجاعة الوحيدة في الاتحاد السوفيتي في هذا الوقت كانت
توجد مجاعات في كازاخستان ومناطق الفولغا وسيبيريا الغربية، أودت
بحياة ثلاثة ملايين آخرين ويرجع سبب الكارثة إلى نظام ستالين الذي اتبعه
مع الفلاحين ونظام تجميع الأراضي والماشية وهو نفس النظام الذي كان
سبباً من الأسباب في مجاعة الصين واعترض الفلاحون في أوكرانيا على هذا
النظام وبدأت تظاهرات الفلاحين ضد هذه الفكرة وترك المزارعون
أراضيهم ورفضوا الزراعة مما جعل الحزب الشيوعي الروسي يفرض
غرامات كبيرة على الفلاحين الذين تركوا أراضيهم مما أجبر الفلاحين على
العمل من جديد ولكن بتراخٍ أي ترك الماشية بدون اهتمام وترك الاهتمام
بمقاومات الزراعة وإهمال الجرارات والآلات الزراعية على أمل أن يسقط

هذا النظام قريباً وكان التجمع القسري حرباً لا هوادة فيها على نظام إنتاج على قرى ريفية قد وصفها النظام الشيوعي من قبل بالجهل والتخلف وتحت مراقبة شديدة من الحزب الشيوعي وأدى تجميع الماشية التي كان يملكها الفلاحون وهي بقرة أو اثنتان كانت مصدر البروتينات في الغذاء الريفي أدى ذلك إلى تردي التغذية وضعف الفلاحين والعمال إنها مأساة كل عصر جشع الإنسان وطمع الحزب الشيوعي إنها الأفكار الشيوعية التي ضربت العالم في هذا الوقت ماركس ولينين وستالين أساء في كتاب الشيوعية التي وعدت العالم بجنتها على الأرض عندما كان يتحدث أحد منهم إلى العالم كان يقول سوف نجعل العالم ينعم في جنة الشيوعية ولكن تحول العالم إلى جحيم في أحضان الماركسية وضربت المجاعات العالم بدون كوارث طبيعية ولكن بسبب الأفكار الشيوعية التي سممت العالم كله بهذه الشعارات الكاذبة إذا تأملت العالم سوف تجد أن الشيوعية ضربت الصين في مقتل وروسيا انهارت وعانت مصر في خمسينات القرن العشرين بسبب الأفكار الشيوعية فشلت الشيوعية في كل الأماكن التي دخلتها وأينما نزلت حلت اللعنة ولذلك قد طالب الشعب الأوكراني العالم بأن يعترف أن ما حدث في أوكرانيا كان في المرتبة الأولى بسبب استخدام ستالين المجاعة أداة سياسية ضد شعب معارض وارتكاب جريمة ضد شعب معارض لسياسة

الحزب الشيوعي وفي منتصف التسعينات، تم فحص مراسلات الحزب الشيوعي ومراسلات ستالين وقرارات الحزب الشيوعي وكيف قادت القرارات إلى المجاعة، ثم إلى تفاقمها عمداً من بداية خريف ١٩٣٢، في أوكرانيا والكوبان بشمال القوقاز

تشهد التقارير التي كتبها المسؤولون وأبلغوها إلى موسكو وقياداتها وعلى رأسها ستالين، على تفاقم «مشكلة الغذاء» بكازاخستان وأوكرانيا والكوبان، ومناطق الفولغا وسيبيريا الغربية. ففضى في كازاخستان أكثر من مليون شخص حتفهم ضحايا الشيوعية و الانعطاف الستاليني في ١٩٣١ - ١٩٣٣، . وكانت المجاعة في كازاخستان هي نتيجة سياسة تجميع الماشية التي جعلت مربى الماشية يتعمدون أذبها احتجاجاً على مصادرتها، من قبل الحكومة وهربوا إلى سيبيريا خوفاً من خطط التوطين والانتقام الستاليني، وبعضهم اجتاز الحدود إلى الصين . وانتشرت الأوبئة والأمراض في البلد وأقر ستالين التعليل الأمني، وأمر الطاغية بالتصدي للهرب بالقوة، وتجريم الهاربين وسجنهم، وحظر بيع المزارعين أي تذاكر سفر، ففضى الآلاف من الأوكرانيين جوعاً، بسبب الجشع والجنون الستاليني هذا الرجل الطاغية بكل ما تحمل الكلمة من معنى وهذه صفحة

من صفحات جنة الشيوعية التي وعد بها الشيوعيون العالم وإلى صفحة أخرى من سجلات التاريخ .

- الحياة والموت

هما طريقتان مختلفتان وعلى عكس الوتيرة إذا فكرت في الحياة وتمعها فقد تنسى الموت وإذا تذكرت الموت تنسى الحياة ماذا أنت فاعل؟ الوسطية هي أفضل الأمور عش حياتك كأنك تعيش للأبد واعمل لآخرتك كأنك تموت غدًا وتذكر عندما تقبل عليك الدنيا أنه لا شيء يدوم فلا يغرك منصبك أو سلطانك فكم من سلطان نام واستيقظ وهو صعلوك بعد أن نزع الله منه سلطانه أولاً تظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة وإذا غرك سلطانك فتذكر قدرة الله عليك وإذا أصابتك نعمة من الله وفضله فتذكر فضل الله عليك واعلم أن ما بين الميلاد والموت هي صفحتك فاحرص كل الحرص على ما تكتب فيها لقد جعل الله لكل داء دواء ولكن هناك أمراض وأوبئة تأتي من الحين إلى الحين يعجز عندها الطب والعلاج ويقف الإنسان عاجزاً أمامها ثم ينزل الله رحمته وفضله على عباده وهذه بعض الأوبئة التي عجز في وقتها الإنسان أمامها.

- الإنفلونزا الوبائية والحرب العالمية الأولى

قد تم وصف هذا المرض بأكبر كارثة في التاريخ الطبي

النتائج المترتبة: وفاة أكثر من خمسين مليوناً حول العالم

وباء صنف أنه الأسوأ في التاريخ الطبي وقد ظهر المرض في الحرب العالمية الأولى وكان نوعاً جديداً من الإنفلونزا ولقد جلست مع أطباء أصدقائي حتى أعرف طبيعة هذا المرض وأقصد الطبيعة العلمية في هذا الوقت وليست التاريخية وقد فهمت أن المرض عكس أنواع الإنفلونزا الأخرى لأنه له مضاعفات مميتة فيمن هم أعمارهم أقل من ٤٥ عاماً وأن السبب الرئيسي في عدم إصابة كبار السن في عام ١٩١٨ هو تعرضهم لإنفلونزا ١٨٨٩م الروسية مما أكسبهم مناعة جزئية ضد الفيروس

ظهرت سلالة جديدة من فيروس الإنفلونزا سنة ١٩١٨ وظهرت أول حالة في الولايات المتحدة الأمريكية وانتشر هذا المرض فكان واحد من كل أربعة أمريكيين مصاباً بفيروس الإنفلونزا .

انتشر المرض بسرعة إلى كندا وأوروبا ، ليمتد في النهاية إلى جميع أنحاء العالم، وذلك لأن الناس ضعفوا واستنفدوا كل ما لديهم من قوة في مجاعات الحرب العالمية. لم يعرف العدد الدقيق للوفيات ولكنه يقدر بحوالي ٥٠

مليوناً الى ١٠٠ مليون شخص لقوا حتفهم على مستوى العالم الغالبية العظمى من ضحايا هذا الوباء كانوا من البالغين والياfeين الأصحاء بعكس ما يحدث عادة من أن يستهدف الوباء كبار السن والأطفال والأشخاص المرضى أو ضعيفي المناعة .

ورغم أن الحرب العالمية الأولى لم تكن السبب الرئيسي في انتشار الوباء إلا أن بعض المصادر تقول أن تكدرس الوحدات العسكرية وتحركات المشاة كان سبباً في انتشار العدوى ونقلها إلى السكان وبذلك كانت الإنفلونزا الوبائية وباءً ضرب العالم وتسبب في مقتل أكثر من ٥٠ مليون إنسان حول العالم مسجلاً رقماً من أكبر الأرقام في عدد الضحايا وأن يدخل صفحات التاريخ .

إننا نبحت عن السعادة غالباً وهي قريبة منا، كما نبحت في كثير من الأحيان عن النظارة وهي فوق عيوننا.



تولستوي ٢

صفحة أخرى من سجلات التاريخ ولكنها صفحة من العصور
القديمة تحديداً القرن الرابع عشر المكان أوربا

الحدث كارثة تغير مجرى أوربا

الكارثة: الموت الأسود أو الطاعون

المكان: أوربا

التاريخ: ١٣٤٧ م إلى ١٣٥٢ م

النتائج المترتبة: موت ثلث سكان أوربا

مدة الكارثة: ما بين ٤ إلى ٥ سنوات

سنة ١٣٤٧ ميلادياً حدث غير مجرى أوربا

- الموت الأسود

بين عام ١٣٤٧ و ١٣٥٢ وتسبب في موت ثلث سكان أوربا وتكدست
الجثث واجتاح الشرق الأدنى وآسيا وانتشرت أوبئة مشابهة في نفس الوقت
الشرق الأوسط ومصر وفلسطين وقد سبب الطاعون خلال التاريخ ثلاثة
أوبئة كبيرة وقع أولها عام ١٥٤١ للميلاد ودام أكثر من قرنين وبلغ عدد

الموتى ٤٠ مليوناً وينتقل المرض عن طريق القوارض البرية ومنها الفئران حيث تقوم البراغيث بنقل الجراثيم للإنسان وبنقل المرض من فأر إلى آخر وتستطيع القوارض أن تعيش وهى حاملة الجراثيم في دمها ثم تغادر جثث الفئران الميتة وتبحث عن جسم مضيف آخر وتنتقل إلى الإنسان وكان الموت الأسود من أخطر الأمراض في هذا الوقت وكان ضيف شرف مع المجاعات التي حدثت ضرب المرض أوروبا أكثر من ٤ سنوات وضرب في نفس الوقت مناطق أخرى من العالم وكان ينتشر عبر الفئران في السفن والمراكب القادمة من أوروبا إلى مناطق خارجها حتى ضرب العالم كله ويقال أن مرض الطاعون حصد أرواح أكثر من ١٠٠ مليون نسمة في العالم رقم مهول تخيل مرض واحد فقط ينتج عنه هذا الرقم وكانت الحكومات عاجزة أن تفعل شيئاً فلا أحد يعرف من أين يأتي المرض أو من أين يبدأ العلاج ولم يفكر أحد أن الفئران سبب في نقل المرض واجتاحت المجاعات العالم وكانت هذه الفترة من أصعب الفترات في العالم وخاصة على أوروبا وبعد هذه الغمة خرجت أوروبا من عصر الظلام إلى عصر النور وخرجت من سيطرة الكنيسة وقتها على العلماء ويظل الموت الأسود صفحة من سجلات التاريخ التي لا تمحى.



الباب الثاني

- شخصيات شريرة
- وكوارث من صنع الإنسان
- الفصل الأول
- حرب الثلاثين
- محاكم التفتيش
- هيروشيما
- حريق لندن
- الرحلة ٤٠١

تعلمت من الحياة أنك تحتاج إلى وقت لكي تتخذ قراراً خاطئاً
لتعرف من الذي سوف يصلحه .

صفحة أخرى من صفحات التاريخ .

هذه الصفحة الكارثية هي من صنع الإنسان ولم تدخل الطبيعة
طرفاً في هذه الكارثة.

١_ حرب الثلاثين عامًا

المكان أوروبا الوسطى . ألمانيا

الكارثة: حرب الثلاثين عامًا

التاريخ: ١٦١٨م إلى ١٦٤٨م

- النتائج المترتبة عليها: وفاة ثلاثين في المائة من سكان ألمانيا

حرب الثلاثين عامًا هي حرب قامت في الأصل على أساس ديني بين البروتستانت والكاثوليك ثم تدخلت معظم القوى الأوروبية الموجودة في ذلك الوقت بهدف السيطرة على أوروبا فرنسا الكاثوليكية ساندت الجانب البروتستانتي بسبب التنافس على الحكم مع آل هابسبورج وكانت حرب الثلاثين عامًا من أشرس الحروب في صفحات التاريخ لقد خلفت دمار ألمانيا وتركت أوبئة ومجاعة ونتائج مدمرة ظلت الحرب ثلاثين عامًا متواصلة وظل الصراع قائمًا أكثر من ثلاثمائة عام هجر الناس المدن والقرى وتركت آلاف الأفدنة دون زراعة بسبب نقص الأيدي العاملة وموت الدواب واستخدمت المحاصيل كلها لإطعام الجيوش وأصبحت المدن الكبرى خربة وتدهورت الصناعة لعدم وجود الحرفيين والمنتجين وأصبح أغنياء التجار يسرقون من أجل العيش وأصبحت الدولة لا تستطيع أن

تحصل على الضرائب لإفلاس التجار وتدهور الحال وبدأ الوباء ينتشر بسبب الجثث المتعفنة في الشوارع وبسبب فضلات القمامة والنفايات الملقاة في الشوارع وانتشر التيفوس وضرب الطاعون مدينة ميونخ وأصبح العنف وسوء الأخلاق بين الناس هو السائد وكثرت الجريمة واختفت الفنون والآداب وقطعت الطرق ووسائل النقل وكثر قطاع الطرق وكتب أحد الفلاحين في مذكراته اليومية "اللهم إنا نتوسل إليك أن تعيد لنا السلام. يا إله السموات أنزل علينا السلام وطلب الوعاظ من الحكومة التدخل ووضع حد لدمار وسفك الدماء وبدأ الناس في نبش القبور وأكل الحيوانات و الخيول النافقة والجرذان وتسمم الهواء من رائحة الموت ولكن الحكومات كانت مشغولة باحتلال الأراضي إنه الجشع عندما يسيطر على الإنسان ويظلم أخاه الإنسان هبطت حرب الثلاثين بسكان المانيا من عشرين مليوناً إلى ثلاثة عشر ونصف المليون ودمرت ١٨٠٠٠ ألف قرية و١٥٠٠ مدينة استسلمت الدنمارك ١٩٤٥ وعقدت اتفاقية منفردة مع السويد تدعى اتفاقية برومبير ومات كرستيان ملكها بعد ثلاث سنوات ١٩٤٨ في حكم استمر على بلاده ٥٩ عاماً وفي نفس السنة أعلن صلح واستفليا منهاياً حرب الثلاثين عام بهزيمة آل هابسبورج وانتصار فرنسا والسويد وبداية إعادة إعمار المانيا من جديد انتهت الحرب وظل الصراع ثلاثة قرون أخرى

وتظل حرب الثلاثين عامًا صفحة سوداء في تاريخ أوروبا وحكومتها ومن تسبب فيها ولن تمحى أسماؤهم من سجلات التاريخ

علمتني الحياة أن أحيأ على ضوء شمعة بضمير أشرف من أن أحيأ بلا ضمير تحت أضواء قصر.

ماذا يريد الإنسان من هذه الدنيا؟ سؤال صعب وجوابه هو الأصعب منه أهل جلست في يوم لكي تسأل نفسك هذا السؤال ماذا تريد من حياتك ولكي يصبح السؤال أصعب هل أنت سعيد في حياتك وهل أنت راضٍ بما أنت عليه ألا أعرف عدد الجلسات التي جلستها مع نفسي ومن منا لم يفعل هذا عندما تمر الذكريات و شريط الحياة أمام عينك تجد أهوالاً من الكوارث التي فعلتها والقرارات التي قد اتخذتها وتتمنى لو يعود بك الزمن حتى تستطيع أن تغيرها تريد أن تعود إلى الماضي لكي تسحب الثقة من بعض البشر الذين أعطيتهم الأمان والحب والثقة وقد خانوا كل هذا تريد أن تعود حتى تغير أصدقاء أعطيتهم الكثير والكثير ثم تحالفوا ضدك مع أشد أعدائك تريد أن تعود لكي تغير قرارات كانت في وقتها مجرد قرارات ولكنك اكتشفت بعد ذلك أنها كانت قرارات مصيرية وإذا لم تتخذها بهذا الشكل لتغير شكل حياتك تريد أن تعود لكي تمنع نفسك من معرفة

شخص سوف يقلب لك كل حياتك ولكن بعد كل ذلك لم تجب على السؤال ماذا تريد من حياتك؟ اعلم أن ما وصلت إليه لم تكن لتصل إليه إلا بمراد الله - سبحانه - ثم جهدك وتعبك واعلم أنه لا أحد يصل إلى نهاية السفر والرحلة بدون وجهة وهدفك في الحياة هو وجهتك فأحسن الاختيار حتى تصل إلى الهدف.



حريق لندن الكبير ١٦٦٦

أكبر كوارث الحرائق في التاريخ أدى إلى تدمير العاصمة البريطانية بكاملها.

استمر مابين الثاني من سبتمبر حتى الخامس من سبتمبر ١٦٦٦ وقد نتج عنه تدمير المدينة بكاملها وتشريد آلاف من الأسر وكان الحطام الناجم عن حريق المدينة يمتد أكثر من كيلو ونصف الكيلو طولياً ووقع الحريق في عهد الملك شارل الثاني في منتصف الليل بعد أن نام الخباز جون فيزنور وقد نسي أن يطفىء النار في فرنه اندلعت النار في الفرن ولم يمر وقت طويل حتى وصلت إلى كومة حبوب من الشوفان كانت في ساحة مجاورة للفرن ثم إلى بيت مجاور وأخذت النار تمتد من بيت إلى آخر وكانت البيوت بناؤها في هذا الوقت من الخشب ولم يتحرك أحد في بداية الحريق ظناً منهم أن النار ستوقف تلقائياً وكان ذلك سبب اليد البشرية في الكارثة امتدت النار إلى نهر التايمز حيث توجد مستودعات الزيت ومستودعات الفحم والخشب وخرج الأمر عن السيطرة وبدأ السير توماس بلودورت أعمدة لندن في وقتها والذي تردد في بداية الأمر في اتخاذ قرار سريع للموقف أصدر القرار بوضع حواجز نارية عن طريق التفجيرات لمكافحة الحريق وكانت إحدى

وسائل المكافحة للحريق في هذا الوقت ومن شأنها أن تحول دون انتشار الحريق ولكن قد قالت الطبيعة كلمتها و هبت الرياح الجافة وقامت بتعزيز النيران واندفعت النيران إلى قلب المدينة وحطمت في طريقها كاتدرائية القديس بولس حيث فجر اللهب البناء المصنوع من الحجر وذاب سقف الكاتدرائية بالكامل ووصلت النار إلى قبور القديسين والرهبان الموجودة في الكنيسة ثم تحطت النار نهر فليت لتهدد بلاط الملك نفسه ولم يتم السيطرة على أكبر حريق في تاريخ لندن إلا بعد خمسة أيام من اندلاع النار في فرن جون فيزنور مسبب الحريق والذي لم يمت فيه مما جعل الخسائر كبيرة جداً قد دمر الحريق ثمانين في المائة من المدينة ثلاثة عشر ألف بيت وسبع وثمانين كنيسة ومتحف التورهل وكانت الخسائر المادية فادحة ولم تسجل الدفاتر الرسمية غير ثمان حالات وفاة في هذا الحريق والبعض يقول أن الجثث أصبحت رماداً بفعل الحريق الهائل ويضاف إلى هذه القائمة من الضحايا الساعاتي الفرنسي روبرت هوبر الذي اتهم بأنه السبب في الحريق الهائل وكان أجنبياً كاثوليكياً وحكم عليه بدون محاكمة وأعدم شنقاً في تاي برن يوم الثامن والعشرين من سبتمبر سنة ١٦٦٦ وظهر بعد إعدامه أنه لم يصل إلى لندن إلا بعد يومين من الحريق و كان من هول الحريق أن الناس أصابهم الهول فلم يتحرك لهم ساكن كان هناك آلاف السكان في بداية

الحريق ولم يتحرك أحد لإخماده وعندما اشتد الحريق كان الفرار هو الحل وانتشرت الفوضى في كل أرجاء المدينة غريب هو الإنسان لا يعلم حجم ضعفه وصغر علمه وقلة حيلته إلا أمام الطبيعة وتقلباتها تلك كانت صفحة من صفحات التاريخ لا تمحى والآن نساfer مرة أخرى إلى صفحة من سجلات التاريخ ومحطة أخرى من محطات الزمن الذي جعله الله- سبحانه وتعالى- لا يتوقف عن تأديب وتعليم الإنسان الذي لم تتعلمه في شبابك ستتعلمه من شيخوختك والماضي هو التجربة التي عاشها غيرك وأصبحت فرصة وضعها الله لك حتى تكون لك سند لتعلم بدون أن تتألم مثل من عاش التجربة و سجلات التاريخ بها قصص وعبر من الثواب والعقاب عليك أن تختار مع أي جهة و صفحة من التاريخ تريد أن تكون وأي نهاية تختار .



المحاكم العسكرية أو محاكم التفتيش

الكاتب الروسي العظيم، فيودور دوستويفسكي في الرائعة (الإخوة كارامازوف)، والتي تخيل فيها أحد أبطالها أن السيد المسيح عاد إلى الأرض، ونزل بإشبيلية في عز سطوة محاكم التفتيش التي سادت الأندلس، ونزل المسيح في وقت الصلاة و القداس وقد تعرف الناس عليه وصرخ الناس أنه هو لا يمكن أن يكون غير ذلك فوعظ الناس وصنع المعجزات، وأقبل عليه الضعفاء والمرضى وأصحاب الحاجات ، يسألونه العون، ويقدمون له شكواهم، ويشاهد ذلك، رئيس ديوان التفتيش، فيأمر باعتقال السيد المسيح، وإيداعه السجن.

وفي آخر المساء، يذهب رئيس الديوان الطاعن في السن إلى المسيح، ويقول له "إنني أعرفك، ولا أجهلك ولهذا حبستك، لماذا جئت إلى هنا؟ لماذا تعوقنا، وتلقي العثرات والعقبات في طريقنا. إنك كلّفت الناس ما ليس لهم به طاقة، كلّفتهم حرية الضمير، كلّفتهم أن يعرفوا الخير والشر ، كلّفتهم أصعب المسالك والطرق، فلم يطبقوا ما كلّفتهم. والآن، وقد عرفنا نحن داءهم، وأعفيناهم من ذلك التكليف، فليس أثقل على الإنسان من حمل الحرية، وليس أسعد منه حين يخف عنه حملها، فينقاد طائعا لمن يسلبه

الحرية، ويوهمه، في الوقت نفسه، بأنه قد أطلقها له، وفوض إليه الأمر في اعتقاده وعمله، فلماذا تكلف الإنسان، من جديد، أن يفتح عينيه، وأن يتطلع إلى المعرفة، وأن يختار لنفسه ما يشاء، وهو لا يعلم ما يشاء. إنك منحتنا السلطان قديماً، وليس لك أن تسترده، وليس في عزمنا أن ننزل عنه، وإن ظهورك الآن بهذه الصورة البسيطة ليس في صالح الكنيسة وكذلك فإن اهتمامك بالإنسان البائس والفقير والأعمى والعريان يتنافى مع ما نفعله اليوم يا سيدي إن الدنيا تغيرت وأنت الآن تصرف الناس عن العبادة والصلاة ثم إن تعاليمك التي ناديت بها منذ عدة قرون لم تعد مناسبة لنا اليوم فلم يعد أحد يصدق عبارتك المشهورة: بأن دخول جمل من ثقب إبرة أيسر من دخول غني الملكوت فألأغنياء هم الذين أقاموا لك الكنائس وهم الذين شيدوا الكاتدرائيات هذا فضلاً عن أني لا أستطيع أن أمشي عارياً وحافياً مثلك فدع هذا الإنسان لنا وارجع من حيث أتيت، وإلا أسلمناك لهذا الإنسان غداً، وسلطناه عليك، وحاسبناك بآياتك، وأخذناك بمعجزاتك، ولترين غداً هذا الشعب الذي قبل قدميك، اليوم، مقبلاً علينا، مبتهلاً لنا أن نخلصه منك، وأن ندينك، كما ندين الضحايا من المعذبين والمحرقين".

ويتخيل دوستوفسكي، في نهاية هذه المواجهة، أن المسيح لم ينطق بكلمة، ولم يقابل هذا الوعيد والتهديد حتى بالتعجب، بل تقدم إلى رئيس ديوان التفتيش، ونظر إليه وقبّله، ثم خرج إلى ظلام، وغاب عن الأنظار.

وصفحة أخرى من سجلات التاريخ التي لا تمحى.



٤_ محاكم التفتيش

التاريخ: القرن الخامس عشر والسادس عشر.

المكان: أوروبا

- ما هي محاكم التفتيش هي.

ديوان أو محكمة كاثوليكية نشطت خاصة في القرنين الخامس عشر والسادس عشر، مهمتها اكتشاف مخالفتي الكنيسة ومعاقبتهم استُخدمت بشكل عام لمحاكمة المهترطين بواسطة الكنيسة الرومانية الكاثوليكية. وكان ذلك من خلال محاكمات إكليريكية أو المحاكم التي كانت تقيمها الكنيسة الرومانية الكاثوليكية لقمع أو مكافحة الهرطقة، وكانت مهمتها اكتشاف السحرة ومعاقبتهم ولكن وللأسف استغل ضعفاء النفس من الكهنة وأصحاب النفوذ والسلطة الوضع وأصبح انتقامياً وشخصياً حيث قامت محاكم التفتيش بحرق أكثر من خمسين امرأة بإسبانيا، وفوق الثلاثين بإيطاليا وأربع نساء بالبرتغال، بينما قامت محكمة القضاء المدني الأوروبي بمحاكمة ١٠٠ ألف امرأة، ٥٠ ألفاً منهم تم حرقهم، ٢٥ ألفاً بألمانيا خلال القرن السادس عشر بواسطة أتباع مارتن لوثر. وكانت سلطة محاكم التفتيش على أتباع الكنيسة من المعمدين فقط، والذين كانوا

يشكلون الغالبية من السكان، وغير المسيحيين أيضًا أن يحاكموا بتهمة سب الدين وكان استخدام وسائل التعذيب في حق من كان يُظن أنه من الهراطقة أمرًا مألوفًا كأسلوب بشع للعقاب من قطع أوصال وحرق الناس أحياء، فوصلت الأعداد التي تم تعذيبها ثلاثمائة ألف من البروتستانت ومئة ألف بلغاري وفرنسي وأرثوذكسي وكانت محاكم التفتيش الإسبانية هي الأشنع على الإطلاق و بعد مرور أربعة قرون على سقوط الأندلس أرسل نابليون حملته إلى إسبانيا وأصدر مرسومًا سنة ١٨٠٨م بإلغاء دواوين التفتيش في المملكة الإسبانية ووجد الجيش الفرنسي غرفًا صغيرةً في حجم جسم الإنسان، بعضها عمودي وبعضها أفقي، فيبقى سجين الغرف العمودية واقفًا على رجليه مدة سجنه حتى يموت، ويبقى سجين الغرف الأفقية ممددًا بها حتى الموت، وتبقى الجثث في السجن الضيق حتى تبلى، ويتساقط اللحم عن العظم، وتأكله الديدان أو آلة أخرى للتعذيب على شكل تابوت أو تابوت المرأة الجميلة كما كان يعرف في وقتها تثبت فيه سكاكين حادة.

كانوا يلقون المعذب في هذا التابوت، ثم يغلق عليه الغطاء بسكاكينه وخنجره. فإذا أغلق مزق جسمه، وقطعه وعثروا على آلات كالكلاليب تغرز في اللسان ثم تشد ليخرج اللسان معها، ممزق قطعة قطعة، وأخرى تغرس في أذن النساء وتسحب بعنفٍ حتى تتقطع الأذن أو تبتز وسيط من

الحديد الشائك يُضرب بها المعذبون وهم عرابة حتى تتناثر لحومهم هذا العذاب كان ضد الطوائف المخالفة من المسيحيين واليهود والمسلمين الذين رفضوا ترك ديانتهم تخيل معي حجم هذه المأساة الإنسانية التي اشترك فيها ملوك ورجال دين باعوا دينهم من أجل عرض الدنيا وبدخول جيش نابليون الأراضي الإسبانية انتهت هذه الصفحة وتظل شاهدة في سجلات التاريخ لظلم الإنسان وجشعه الذي لا ينتهي والآن نساfer إلى سجل آخر من سجلات التاريخ .

لا توجد مهمة صعبة بعدما تقسمها إلى مهام صغيرة !

- الغيب

لأن المستقبل غيب والإيمان هو أيضاً غيب قد شغف الإنسان بكل ما هو غيب أعرف كثيراً من الناس الذين تعودوا قراءة باب حظك اليوم وقد تعدى الأمر ذلك عند بعضهم وأصبح يعتقد بهذه الأمور وانتشرت كتب الأبراج والحظ ثم راجت بعد ذلك بضاعة كتب الإلهاد وأصبحت موضة العصر الحديث وأنا أتعجب عندما يسأل أحدهم السؤال الخبيث أنت تؤمن بالله بدون أن تراه ويكمل ويقول إذا كيف تستنكر علينا ان نقرأ كتب الطالع والغيب لكي نعرف المستقبل كيف تفعل أنت ما تستنكره على غيرك

وهنا أعلم أنه مسكين لم يصل بعد إلى الفرق بين الإيمان بالله العلي القدير الذي يتجلى في كل شيء على الأرض و السماء والبحار وفي باطن الأرض وفي النفس وما حواها كل ذلك يجعلني أومن بالله أما كتب الطالع والمستقبل كتبها بشر مثلي ومثلك هو نفسه لا يعرف ما سوف يحدث له بعد لحظات من كتابة حظك فما الداعي حتى أومن أو أعتقد أنا بما يكتب هو عن مستقبلي وهذا هو الفرق بين الإيمان الغيبي بالله وبين الإيمان والاعتقاد بغيب المستقبل.

صفحةً من كوارث الطبيعة وقد اخترت هذه الصفحة لغرابتها وما حدث فيها.



الرحلة ٤٠١

هناك حوادث كونية تحدث بسبب الطبيعة وبالطبع لا يكون الإنسان طرفاً فيها وهي فعل لقضاء الله ولا يستطيع الإنسان فعل شيء ولكن لكل شيء سبب أو تحليل علمي لكي تتعلم البشرية تفادي الخسائر الناتجة عن هذه الكوارث ولكن ما حدث بعد حدوث كارثة الرحلة ٤٠١ كان لغزاً غريباً ومحيراً حتى يومنا هذا لم يعرف أحد تحليلاً لما حدث لذلك اخترتها صفحة من هذه الصفحات.

الكارثة: الرحلة ٤٠١

المكان: مدينة نيويورك

التاريخ: ٢٩ ديسمبر ١٩٧٢

- النتائج المترتبة على الكارثة: وفاة تسعة وتسعين شخصاً والكابتن والمساعد.

في مساء يوم ٢٩ ديسمبر أقلعت الرحلة ٤٠١ من نيويورك وعلى متنها ١٧٨ راكباً وكانت تابعة لشركة إيسترن إيرلاينز وكانت تحمل الرحلة رقم ٤٠١ وبعد الإقلاع بقليل لم يقدر لهذه الرحلة أن تكتمل و تصل إلى وجهتها وتحطمت بالقرب من هضاب إيفر جليدز في ولاية فلوريدا

الأمريكية وانتقلت السلطات على الفور إلى مكان الحادث وقد وجدت السلطات بعضًا من ركاب الرحلة مازالوا على قيد الحياة وكان عدد الركاب الناجين من هذه الكارثة ٧٧ شخصًا حتى الآن لا يوجد شيء غريب وما زال الحدث شيئًا عاديًا وكثيرًا ما قد يحدث ولكن ستعرف في النهاية لماذا أصبحت الكارثة أو الرحلة ٤٠١ لغزا وشيئًا غير عادي.

- بداية التحقيقات والكشف عن أسباب الحادث

اكتشفت هيئة التحقيق وسلامة النقل الجوي أنه قد تم التغيير من وضعية الطيار الآلي الذي يتحكم في الارتفاع إلى وضعية التحكم المقود بدون عمد وأدى الضغط الخفيف إلى إبطاء الطائرة وكان الوقت ليلاً والطائرة تحلق فوق هضاب إيفر جيلدز ولم يكن هناك أضواء أرضية ولم يلاحظ الكابتن لوفت أن الطائرة تقلل من سرعتها وأنها تتجه إلى الأرض .

نتيجة التحقيق. أدان التقرير النهائي الكابتن لوفت هو والمساعد بأنهما لم يتفقدوا أجهزة الطائرة في الدقائق الأخيرة قبل الكارثة واكتشاف أن الطائرة تهبط إلى الأرض وتسبب هذا الخطأ في اصطدام الطائرة بالأرض وخسارة هيكل الطائرة كاملاً وبعد ذلك أخذت الشركة المالكة للطائرة المنكوبة بعض أجزاء الطائرة وتم تركيبها في طائرة أخرى تابعة لها .

- أشباح الرحلة ٤٠١

بعد ذلك أصبحت أشباح الرحلة ٤٠١ تظهر في الطائرة التي تم فيها استخدام قطع من الطائرة المنكوبة وبدأ الموظفون يشاهدون شبح المساعد دون ريبو والكابتن لوفت وبعض الركاب ووصل الأمر أن الشركة قد هددت موظفيها بالطرد من الشركة لو تحدث أحد عن هذا الكلام واعتبرت الشركة أن هذا الكلام مجرد سخافة والمقصود بها الإضرار بالشركة .

الضجة الإعلامية أصبح حادث الأشباح يتناقل عبر الناس وطبيعي أن يتدخل الإعلام والسينما في هذا الحدث تم إنتاج فيلم شبح الرحلة ٤٠١ عام ١٩٧٨ والفيلم التلفزيوني تحطم الطائرة ٤٠١

وهنا أريد أن أتوقف بكم . لماذا لم تسأل نفسك عزيزي القارئ ولو لمرة واحدة هل الأشباح لها وجود حقيقي في حياتنا أم أنها خيال ننسجه لنعيش تحت أسر الخوف منه دون أن يكون لها وجود؟

- ماهي الأشباح :

غالبًا ما تفسر كلمة الأشباح على أنها تمثل روح قتيل أو ميت، وكثيرًا ما يربط الناس بين الجن والأشباح رغم أن تعريف كليهما مختلف تمامًا . وعادة

ما ترتبط ظاهرة الأشباح ببقعة معينة كالمنازل، أو البحار والخلاء، وغيرها. أشهر القصص هي قصة القس الروسي ديمتري في ليلة من الليالي شاهد القس ديمتري امرأة جميلة شابة كانت تريد منه أن يدها على مكان ما على الطريق وقد وقف ليشرح لها كيف تذهب إلى الطريق ولكن كان الغريب عندما انتبه إلى أن رقبة المرأة الجميلة تنزف دمًا، وكانت الصدمة بعد ذلك عندما تأكد بعد فترة من أنه في الليلة السابقة قد قتلت فتاة شابة من النبلاء بنفس صفات الفتاة التي شاهدها وقد قطع من قتلها رأسها بالكامل عن جسدها.. أما الحادثة الشهيرة التي اخترتها وقمت بسرد أحداثها المسماة حادثة أشباح الرحلة رقم ٤٠١ بعد هذه الحادثة كثر الحديث حول ظهور أشباح طاقم الطائرة المنكوبة في طائرات الشركة ورغم أن الشركة قد حاولت أن تتكتم على هذا الموضوع ولكن أصبح ظهور طاقم الطائرة المنكوبة في طائرات الشركة وفي طائرات الشركات الأخرى أيضًا أمرًا لا يمكن إخفاؤه أو السكوت عنه من أجل ذلك قد اجتمعت شركات الطيران الأمريكية في ذلك الوقت و أصدرت منشورًا خاصًا لموظفي وطياري الطائرات قالت فيه أن هناك بعض الحوادث الغريبة التي تحدث في الطائرات وأنها حوادث كونية لا مجال لتفسيرها .

إذا كان المقصود بالأشباح هم الجن فهذا حقيقة وغير ذلك هم
الشياطين الميت أو الروح التي انقضت أجلها وانقطع سبيلها عن الدنيا والله
أعلم ويظل حادث . الرحلة ٤٠١ هو الأغرب في حوادث الطيران . وإلى
صفحة أخرى من سجلات التاريخ التي لا تمحى .



هيروشيما

في الساعة الثامنة والرابع صباح عام ١٩٤٥ م قامت الولايات المتحدة الأمريكية بإلقاء أول قنبلة ذرية في التاريخ على مدينة هيروشيما .

هيروشيما : هو التفجير الأول والأكثر شهرة. فقد أسقطت قنبلة يورانيوم وزن أكثر من ٤.٥ أطنان وأخذت اسمًا هو "ليتل بوي" على هيروشيما في السادس من أغسطس سنة ١٩٤٥ على جسر أيوي ليكون نقطة الهدف. وحدد مكان الصفر على ارتفاع ١٩٨٠ قدمًا. وفي الساعة الثامنة وخمس عشرة دقيقة تم إسقاط القنبلة. ولكنها أخطأت الهدف قليلاً وسقطت على بعد ٨٠٠ قدم منه. في الساعة الثامنة وست عشرة دقيقة وكان كل شيء في الأسفل عاديًا وكان يومًا مشرقًا وجميلاً وبمجرد إسقاط القنبلة ما هي إلا ثوان قليلة و كان ٦٥٠٠٠ إنسان قد قتلوا و ٧٠٠٠٠٠ قد جرحوا وتغير كل شيء على الأرض بواسطة التفجير المتكون من ١٠ كيلو طن.

احترق كل شيء قابل لأن يحترق. ما تبقي من منطقة التفجير كان متوهجًا من الحرارة الشديدة. اللهب كان ممتدًا لأكثر من ثلاثة أميال قطر ومات كل كائن حي قريب من هذه البقعة

ناجا زاكي : في التاسع من أغسطس سنة ١٩٤٥ ، التفجير الثاني مدينة ناجا زاكي ، الفرق هذه المرة بأن قنبلة بلوتونيوم هي التي أسقطت عليها. أطلق على القنبلة اسم "فات مان" وقد أخطأت هدفها هي الأخرى بمقدار ميل ونصف. ومع ذلك فقد كان في وسط المدينة تقريباً. وفي جزء من الثانية فقد ٤٠ ألف شخص حياتهم أو أكثر من ٢٠ ألف شخص جرحوا، يقال أن من شدة الالهب ودرجة الحرارة المرتفعة قد انصهرت أجساد الناس وأصبحت بقع زيت في الأماكن التي كانوا يجلسون عليها قبل الانفجار وكانت التقديرات من الفيزيائيين والمختصين الذين درسوا كلاً من التفجيرين قدروا بأن القنابل التي سقطت قد استخدمت فقط ١ من عشرة من واحد في المائة من قدرتها التفجيرية تحيل ١ من عشرة من واحد في المائة قد تركت كل هذا الدماراً أي ضمير إنساني يفعل هذا في إنسان بعد هذا الدمار استسلمت اليابان وألقت السلاح وأصبحت هذه الصفحة من أسوأ صفحات التاريخ

- راسبوتين, الكونتيسة إيزابيث, كاليجولا

النفوس الشريرة شخصيات موجودة في حياتنا ولكن ما أقصد هنا الأشخاص التي تركت صفحات في تاريخ الشر مما جعل أسماءهم تسجل

في سجلات التاريخ الذي لا يمحي وأنا عن نفسي أجد أن أكثرهم تأثيراً في التاريخ الحديث هو راسبوتين هذا المشعوذ الدجال الذي استطاع أن يصل ويتحكم في بلد كامل وتسبب في قيام ثورة وإعدام قيصر وعائلته ورغم موت راسبوتين إلا أن في كل زمان ومكان يوجد راسبوتين قد انتشر في هذا الزمن الدجل والشعوذة وأصبح للمشعوذين مكان بين الناس بل وأصبح لهم احترام وبركات ولعنات إذا أخطأت في أحد منهم تسمع اللعنات تنزل عليك من كل لسان بل وأحياناً تنزل عليك اللكمات والسباب وكأنك قد كفرت زمن أصبح فيه صاحب اللحية وحده هو من يعلم ببواطن الأمور وكلامه مصدق ويجب عليك ألا تناقش في أي أمر يقوم به أصبح الدجال في هذا الزمن هو العالم بما سيحدث ونسي الناس أن من يعلم الغيب هو الله - سبحانه وتعالى - حب السلطة كارثة كل العصور حب التملك والنفوذ شيء عجيب واعتقاد كل ذي فكر بفكره ورؤيته و أنه الأحق في الاتباع بغض النظر عن صواب أو خطأ فكره أو مبدئه أصبح النفاق هو سمة العصر الحديث وإرضاء من بيده السلطة سواء كان على صواب أو خطأ شيئاً مقدساً نحن من نصنع راسبوتين .

- راسبوتين شيطان في ملابس قديس

كلما قرأت عن هذه الشخصية كلما تملكني الفزع هل يوجد عقل بشري يستطيع أن يصل إلى هذا الشر يا الله ما هذا الإنسان؟! شخص واحد بهذا الشر استطاع أن يدمر بلدًا كاملًا وتسبب بقيام ثورة في روسيا وإعدام القيصر وأسرته.

ولد غريغوري يافيموفيتش راسبوتين في الثاني والعشرين من يناير عام ألف وثمانمائة وتسعة وستين في قرية بوكروفوسكوي الريفية الواقعة في سيبيريا. وفي طفولته، ظهرت لدى راسبوتين رؤى مستمرة عن القوى الإلهية وقدرات الشفاء الخارقة، واكتسب في فترة مراهقته اسم راسبوتين (أي الفاجر) بسبب علاقاته الجنسية الفاضحة وكان حادث اتهامه ذات مرة بسرقة حصان نقطة تحول في حياته، هرب على أثرها من القرية ولاذ بأحد الأديرة حيث اتخذ صفة الرهبانية التي لازمته بعد ذلك طيلة حياته أسجل القيصر نيقولا الثاني في مذكراته اللقاء الأول براسبوتين في الرابع عشر من نوفمبر عام ألف وتسعمائة وخمسة، قائلاً "تعرفنا على غريغوري، رجل الرب، من أبرشية توبولسك".

وبنجاحه مع سيدة القصر الإمبراطورة ألكسندرا فيودوروفونا.

إذ اقتنعت تمامًا بقدراته حين استطاع بإعجاز أن يخفف من المعاناة والنزيف الذي أصاب أليكسيس نيكوليافتش، وريث عرش روسيا المريض بسيلان الدم. ولم يمضِ وقت طويل منذ أثبت راسبوتين قوته الخارقة لـ (ألكسندرا) ، حتى أصبح مستشارها الشخصي المؤتمن على أسرارها، يزورها في القصر في موعد أسبوعي محددًا بزغ نجم الراهب راسبوتين في سان بطرسبرغ، وبالمثل زاد عدد أعدائه. إذ رآه كثيرون خارج حدود البلاط يحيا حياة السكر والعريضة، وغالبًا ما يكون بصحبة العاهرات لقد امتلأت مقاعد الحكومة بصائدي الثروة وغير الأكفاء ومعظمهم كانوا على استعداد لدفع مبالغ مالية كبيرة لراسبوتين للبقاء في مناصبهم ، فتأثير راسبوتين في البلاط القيصري كان يزداد يومًا بعد آخر وصار بإمكانه فعل أي شيء كتعيين أسقف وعزل آخر ، حتى أنه عين رؤساء وزارة وعزلهم فيما بعد رئيس الوزراء " بيترستالين " جمع أدلة كثيرة ضد راسبوتين ، كان يريد أن يثبت للقيصر وزوجته أن هذا الرجل سيء السمعة ، فجمع ملفًا ضخماً بفضائح راسبوتين ، وأثبت الملف أن راسبوتين شرير وأنه قادر على جعل القيصر وزوجته دمي يحركها كيفما يشاء.

وكان الناس يعتقدون بوجود علاقة جنسية بين راسبوتين وزوجة القيصر ولم تمضِ فترة حتى اغتيل رئيس الوزراء " بيترستالين " بإطلاق

النار عليه في دار الأوبرا بينما كان يحضر عرضًا مع القيصر وزوجته ، وبإزاحة ألد أعدائه عاد " راسبوتين " بقوة إلى الواجهة وعاقب كل من وقف ضده وعمت الفوضى البلاد ودخلت روسيا الحرب مع ألمانيا وتدخل راسبوتين في تغير وزير الدفاع والقادة مما تسبب في قتل آلاف الجنود وأصبحت كارثة بكل المقاييس فقد كان هناك جنود على الجبهة بلا بنادق وبلا رصاص ، وكانوا يرتدون ملابس صيفية والشتاء على الأبواب فتجمدوا حتى الموت وأراجت شائعات عن وجود جماعات موالية للألمان تعطيهم أسرار التحركات والمناورات العسكرية الروسية ، وبالطبع كانت القيصرة الألمانية الأصل ومستشارها راسبوتين هما على رأس قائمة المتهمين.

ففي حادثة شهيرة في إحدى السهرات أخذ راسبوتين بعض بنات الهوى وبدأ يثمل ويشير ويلمح أنه قادر على جعل القيصرة تتصرف كيفما يشاء ، وقيل أنه في إحدى المرات ركض إلى الشرفة عارياً وصاح أمام الجميع أنه هو من يحكم روسيا. أصار الجميع في روسيا يعتبرون راسبوتين هو الشيطان الذي تسبب في كل كوارث البلد وكل شخص يرجع أي بلاء أو مصيبة حلت به إلى راسبوتين، أقارب الحاكم حملوه مسئولية إضعاف

الحكم القيصري ، والشعب أصبح يعارض بشدة نفوذه وسيطرته على الحكم ، وامتدت هذه المعارضة لتشمل كبار الضباط وأعضاء الحكومة ..
لقد اجتمع الرأي على أن وجود راسبوتين أصبح مستحيلاً.

- نهاية إبليس

دعوة راسبوتين إلى القتل بحجة أن زوجة الأمير يوسوبوف تريد مقابلته ، وقد وقع راسبوتين بالفخ ، فأتى إلى القصر مرتدياً ملابسه الأنيقة لاعتقاده بأنه سيقابل زوجة يوسوبوف الجميلة ، وحال دخوله القصر استقبله يوسوبوف بحفاوة ودعاه للنزول إلى القبو لمقابلة زوجته ، وهناك في القبو قدموا له شراباً مسموماً يكفي لقتل مجموعة من الأشخاص ، لكن راسبوتين لم يتأثر بالسم وظل متماسكاً، عندها فقد الأمير يوسوبوف تماسكه وأمسك مسدسه وأطلق النار على راسبوتين مباشرة ، فوقع راسبوتين أرضاً لكنه لم يمت فعاد هو ورجاله وأطلقوا النار على راسبوتين ثلاث مرات أخرى ، فسقط أرضاً بلا حراك . لكن لم يتركوه هذه المرة ، لقد أيقنوا بأنهم أمام شيطان حقيقي وليس بشراً عادياً ، ووضعوه في عربة ثم أخذوه إلى النهر حيث أغرقوه .

بعد ثلاثة أشهر فقط من مقتله أطاحت الثورة الروسية بالحكم القيصري وقضي على آخر جيل من عائلة "رومانوف" ، وبعدها بتسعة شهور تم إعدام القيصر " نيقولاس " وعائلته وأصبحت صفحة من صفحات الشر التي لا تمحى من التاريخ ، فما الحياة سوى محطة قادمين إليها ومغادرين منها .

- هل لدى الإنسان إرادة حرة أم لا؟

لكي تجيب على هذا السؤال أنت وأنا محتاجان إلى عمر فوق العمر لماذا؟ ببساطة شديدة إذا سألت أحداً هذا السؤال سوف تكون الإجابة نعم لأنني لست عبداً أنا حر ولكن الحقيقة أن الحرية غير الإرادة الحرة جميع البشر أحرار ولكن تختلف الظروف من شخص إلى آخر عند أخذ قرار ما أو فعل ما أنت نفسك من الممكن أن تتخذ قراراً أو فعلاً في وقت وتفعل عكس الفعل في مرة أخرى لماذا؟ تغير الظروف والضغط التي قد تغيرت في حياتك أو عملك لذلك تجد الذي يعمل في شركة أو مؤسسة والإدارة التي تتحكم في الأمر تتخذ قرارات ضد مبادئك أو أفكارك التي تؤمن بها تجد نفسك تقوم بتنفيذها لأنك لو لم تفعل سوف تعاقب وإذا قررت الرفض مرة أخرى اعلم أنه اقرب موعد طردك من الشركة ولكن ماذا عن

الإرادة الحرة في قراراتك الشخصية هنا قد تقول نعم هذه حياتي الخاصة وأنا الوحيد الذي أملك الإرادة في أخذ القرارات ولكن عندما نحب شخصاً حُباً حقيقياً نجد أنفسنا نغير قراراتنا وفي أوقات أخرى نغير شخصيتنا وأفعالنا من أجل إرضاء من نحب كانت مأساة نابليون هي حب زوجته جوزفين التي تزوجها عن حب ولم تخلص هيله وألصقت بسمعه عاراً كان نابليون عبقرياً شجاعاً مهيباً أمام جنوده ضعيفاً أمام الحب كان يفتن العالم وهي كانت تفتن بحب غيره وأعود وأطرح السؤال هل أنت صاحب إرادة حرة أم لا؟ وأترك لكم التفكير.

عالم الخيال واقع موجود ولا يمكن إنكاره أبداً وفيه يستطيع المرء تركيب ما لا حصر له من الصور الحسية معتمداً على المخزون الهائل من الملفات الموجودة في الذاكرة إذا تخيلت أمراً ما بتفاصيله فإنك أوجدته في ذلك العالم ولم يبقَ إلا أن يظهر إلى العالم الحسي لإنجازه على أرض الواقع أفأنت عندما تتخيل وأنت نائم ما سوف تقوم به في الصباح التالي بعد استيقاظك من النوم إنما أوجدت التفاصيل لما سوف تقوم به أوفي الصباح التالي تنفذه إذا لم يتغير شيء في ظروفك .

لقد حدث معي هذا الموقف كثيراً ولا بد وأنه حدث معك في مرة من المرات حيث تذكر شيئاً معيناً حدث معك (قابلت شخصاً رأيت منظرًا سمعت بعض الكلمات تقف وتقول لقد سمعت هذا الكلام من قبل أو هذا الموقف قد حدث من قبل ولكنك لا تعرف أين حدث هذا الشيء أهل حدث معك في الواقع؟ أم أنه كان في الحلم؟ والأصعب لا تستطيع أن تعرف... هل هو واقع أم حلم؟ هناك من يقول أنه عالم البرزخ أو تلاقي الأرواح حقيقة أنا لا أعرف غير أن الرؤيا هي حقيقة مؤكدة مثل رؤيا فرعون وسيدنا يوسف فإن فرعون- لعنه الله- رأى في المنام الرؤيا التي فيها هلاكه على يد موسى- عليه السلام-، أما رؤية المستقبل وادعاء علم الغيب فهذا لا يقول به إلا المنجمون الذين يعتمدون على السحر والشعوذة وهذا ما لا أعترف به .

عندما يعتقد الإنسان صاحب السلطة والمال بفكرة السحر ويعتمد على السحر في حياته تكون تلك بداية كارثة لأن السلطة والمال تجعل منه وحشاً وينعدم الضمير الإنساني ولا يسمع إلا نفسه ورغبتها ويسيطر عليه الفكر الشرير وحب الدنيا والجشع وهذا ما حدث مع الكونتيسة إليزابيث باثوري تخيل عندما تفعل امرأة كل هذه الجرائم من أجل الحفاظ على جمالها فقط وأن تظل بشرتها جميلة وللأسف فكرة الجمال عند المرأة أصبحت غير

مفهومة عند سيدات كثيرات واختلط الأمر عند النساء والرجال عن مفهوم الجمال لكن الحقيقة هي لا شيء يدوم إلى النهاية فمن يحبك لجمالك ينتهى حب عند انتهاء جمالك أما من يحبك أنت لذاتك ونفسك وفكرك سيظل يحبك حتى لو فشل هذا الحب سيظل يحب فيك هذه الأشياء.

- الكونتيسة إيزابيث باثوري

هي شخصية واقعية من غرب هنجاريا المجر الآن، اشتهرت بجمالها، وحينما بدأت تتقدم بالعمر أصيبت بجنون الخوف من فقدان جمالها، واعتقدت بأن دماء الفتيات الشابات ستحفظ لها تألقها. وقد نصحتها إحدى الساحرات بذلك وأعلى الفور أمرت حراسها بجلب فتاة عذراء كل يوم من أجل أن تشرب دماؤها ..

وفي الليل كانت الكونتيسة وأصدقائها يجوبون القرى بحثاً عن فتيات لاستخدامهن في حمامها الدموي ويقال أنها كانت تأكل لحوم الفتيات لتكسب جسمها شبابهن وكانت تدهن بشرتها بدمائهن ظناً منها أن ذلك يوقف زحف التجاعيد ويحافظ على نضارة بشرتها ولكن مرت سنوات ولم تلاحظ إيزابيث أي تقدم .. فاستشارت ساحرتها مرة أخرى فأخبرتها أن دم بنات الفلاحين والخادmates لا يجدي أوعليها أن تشرب دم الفتيات صغيرات

السن من الأسر المالكة والنبلاء فأصبحت تقوم بدعوتهن إلى قلعته وتغتتم الفرصة المناسبة لقتلهن وشرب دمائهن قتلت ٦٠٠ فتاة من الخدم والفلاحين و ٢٥ فتاة من الأسر المالكة والنبلاء ويقال أن الرقم ٦٥٠ فتاة وصلت أخبار إليزابيث إلى الإمبراطور الهنغاري ماثياس الثاني وكان من الصعب عليه أخذ قرار القصاص لأنها من النبلاء لكن البرلمان سن قانوناً حتى لا يمكنها الإفلات بفعلتها بعد أن اعترفت أنها قتلت من الفتيات الفقيرات من الفلاحين والخدم ٦٠٠ فتاة وقامت بقتل ٢٥ فتاة من العائلة المالكة والنبلاء تم الحكم على مساعديها وساحرتها بالإعدام حرقاً .. أما هي فقد أفلتت من حكم الإعدام بسبب أصولها النبيلة .. لكنها حبست في غرفة في قصرها ووضعت عليها القضبان وفي عام ١٦١٤ ماتت ويقال أنها قتلت من أحد الحراس وأنا أعتقد اعتقاداً شخصياً أنه قد دُفع المال لهذا الحارس من أهل الفتيات اللاتي قد قتلتهن وبذلك انتهت إليزابيث وأصبحت صفحة من سجلات التاريخ.

- كاليجولا , دراكولا .

كاليجولا كانت لديه فلسفته الخاصة وعبارته الشهيرة سأحل أنا محل الطاعون وكان يعتقد أن الحاكم الذي لا يكون في عصره مجاعة أو أمراض

لن يذكره التاريخ لذلك أغلق مخازن الغلال في روما، واستمتع برؤية الشعب يموت من الفقر والجوع وانظر إلى هذه الحادثة عندما يستهين الحاكم بشعبه.

في أحد الأيام دخل كاليجولا فوق حصانه "إينسيتاتوس" إلى اجتماع مجلس الشيوخ، وعندما أبدى أحد الأعضاء اعتراضه على هذه الواقعة التي لم يسبقه أحد إلى فعلها صاح فيه "أعتقد أن جوادي أكثر أهمية منك، يكفي أنه يحملني"، ولم يتوقف عند هذا الحد من الجنون لقد أمر بتعيين حصانه عضواً في المجلس، وعلى مائدة الطعام أعدّ وليمة من التبن والشعير، كان كاليجولا مثلاً صارخاً لتهاون وضعف الشعوب أمام حكامها، كاليجولا عشق مشاهد الدماء، كان لا يتوانى عن إعدام البشر بالخوازيق أو السلخ وكان يقف يشاهد القتل والسلخ بنفسه وهو يبتسم كان الرجل مريضاً بسادية ومضطرب العقل لقد أجبر الأغنياء على بناء معبد وتمثال لهفي حرم القدس الذي يتعبد فيها الناس مما أثار غضب العامة عليه وأصبح كاليجولا خطراً حقيقياً على الإمبراطورية كلها.

- نهاية السفاح

كان كاليجولا عائداً من المسرح الروماني و يسير في أحد الممرات ، عندما فاجأه مجموعة من أفراد عائلته ومن الحراس الشخصيين له وانهاالوا عليه بالطعنات وكان عدد الطعنات فيجسده ثلاثين طعنة و مات السفاح، ثم قتلت زوجته وابنته ولم يبقَ من المقربين غير عمه الذي ظن أن الشعب سوف يقتله هو الآخر لكنهم جعلوا منه الحاكم والإمبراطور الجديد وانتهت قصة هذا السفاح كاليجولا والغريب أن الشعب لم يُصدق موته في البداية وتخيّلوا أنها إحدى خدعه الفيلم الذي أنتجه المخرج الإيطالي "تينتو براس" عام ١٩٧٩، كان الأكثر بشاعة وكانت أصعب المشاهد المقززة بالنسبة إليّ ولم أستطع أن أكمل مشاهدتها تلك التي يقطع فيها الأعضاء التناسلية للرجال وتُلقى للكلاب ويظل هذا الإمبراطور الشاب صورة من تاريخ جنون السلطة الذي لا ينتهي وإلى صفحة أخرى من سجلات التاريخ.

- الجريمة والعقاب

دوستويفسكى هو من أروع من أنجب الأدب الروسي في حالة هذا الكاتب ينقطع لا في الحقيقة أيجترق الخيط الفاصل بين العبقرية والجنون أي محلل نفسي هذا وأي ألم يشعر به عندما يكتب؟ لا أستغرب تاريخه الطويل

مع المرض. لكنَّ نفسًا بهذه الإمكانيات لا تحمل عالمًا كالذي عايشه أ
الجريمة والعقاب هي تحفة أدبية بكل ما تحمل الكلمة من معنى عندما
قرأتها أول مرة لم أستطع أن أكملها وعندما أكملتها كانت شخصية البطل
قد سيطرت عليَّ أ الظنون الذي عصفت بالقاتل عصفت بي حتى بت أرى
في عين الناس وكأنهم ينظرون إليَّ و كأنني من فعل الجريمة .

الرواية حالة خاصة هي أقرب لسباحة في عقل أصابه التلف والجنون
بسبب أحوال المجتمع الفاسدة.

دوستويفسكي قدم لنا شخصية قد فقدت الشيء الكثير ووصلت إلى
مرحلة اللانهاية فتراه يتحدى ما يعترض طريقه دون أن يلقي بالأ فعدما
يرى ما وصلت إليه أحوال المعدمين و بيع بعض الفتيات لأنفسهن لسداد
حاجة أهاليهن يزداد إصرارًا على تنفيذ جريمته التي تقول أنه من حيث
الفكر والمبدأ سوف يقتل شخصًا كان خنفساء لا يستحق العيش ليستفيد
من أمواله ويسعد من كان معدمًا. أ دوستويفسكي يأخذنا في رحلة صراع
ونزاع بين الخير والشر وكيف يمكن للرغبات المكبوتة أن تقود الشخص
لطريق مجهول لا يعلم مصيره أ على يد العبقرى دوستويفسكي، تجد النفوس
البشرية متعددة قد تحب بعضها ويقشعر جسدك من بعضها .

القراءة لدوستويفسكي ممتعة ومرهقة، قد تعيش الشخصيات أمامك
حتى تتعلق بهم وعند نهاية الرواية تودّع راسكولنيكوف وبقية الشخصيات كما
تودّع أصدقاء رحلة كانت صحبتهم فيها ممتعة.



اغتيالات غيرت مجرى التاريخ

إبراهام لينكولن.

فرانز فرديناند .

الخليفة عثمان بن عفان.

الجريمة السياسية أو الاغتيال السياسي يختلف عليه كثير من الناس ولكن في النهاية هي أراقت الدماء حتى تنهي خلافاً ومشكلة بمشكلة أكبر وصفحات الدم في التاريخ كثيرة ولكن منها من ترك كارثة أو فوضى كبيرة جداً بعد اغتياله مثل يوليوس قيصر الرومان ترك بعد اغتياله حرباً أهلية شرسة وكانت بداية لتقسيم الإمبراطورية الرومانية ومارتن لوثر ترك بعد حادث اغتياله فوضى عارمة من السود أما الرئيس لينكولن ترك وراءه مأساة الجنوب الأمريكي ولقد خلدها تاريخ السينما العالمية وكان لي موقف طريف مع فيلم الرئيس لينكولن في العرض الأول كان معي إحدى الصديقات ولم تكن هي من هواة الأفلام ذات الطابع السياسي وعند عرض الدقائق الأولى من الفيلم بدأت في النوم وبعد ذلك أحست ببرودة شديدة من المكيف وكنا في فصل الشتاء وخرجت من السينما ولم أكمل الفيلم وبعد مدة ذهبت مرة أخرى مع بعض الأصدقاء وبعد أن قمنا بحجز

التذاكر وجلسنا في الاستراحة قبل بداية الفيلم بقليل جاء تليفون لأحد الأصدقاء أن والده قد توفي إلى رحمة الله بالطبع تركنا الفيلم ولم أشاهده إلا بعدها بفترة طويلة.

اغتيال إبراهيم لينكولن الرئيس السادس عشر للولايات المتحدة الأمريكية بالفترة من ١٨٦١م إلى أن تم اغتياله عام ١٨٦٥ أهم حادث اغتيال وتم على يد أحد الممثلين من الجنوب الأمريكي الذي انهزم في الحرب الأهلية الأمريكية أثناء حضوره عرضاً مسرحياً، أدى اغتياله إلى معاناة الجنوب بعد وفاته على يد الرئيس التاليناندرو جونسون، لفترة طويلة من الزمن بعد انتهاء الحرب الأهلية خاصة واستمر الجنوب في قمع السود، مما أدى إلى الفوضى والاضطراب وكانت الأضرار النفسية كبيرة مما جعل اغتيال إبراهيم من الاغتيالات التي تركت أثراً كبيراً في سجلات التاريخ .

فرانز فرديناند " من أهم الاغتيالات التي غيرت التاريخ يكفي أن تعلم أن أول رصاصة في اغتياله كانت سبباً في الحرب العالمية الأولى أدى اغتياله وزوجته في " سرايفو"، عام ١٩١٤ على يد جماعة مرتبطة بالجيش

الصربي إلى تحميل الإمبراطورية للحكومة الصربية مسؤولية الواقعة لتعلن الحرب عليها.

ما أدى إلى سلسلة من الأحداث أوقعت كافة الدول الأوربية فيها وجرتها إلى الحرب العالمية الأولى، التي راح ضحيتها ١٥ مليون شخص. مما جعل هذا الاغتيال صفحة لا تمحى من التاريخ .

- مقتل أمير المؤمنين عثمان بن عفان

اقتحم المتآمرون داره وهجموا عليه وهو يقرأ القرآن وألقت زوجته نائلة بنفسها عليه لتحميه لكنهم ضربوها بالسيف فقطعت أصابعها، وتمكنوا منه فسال دمه على المصحف ومات شهيداً في صبيحة عيد الأضحى سنة ٣٥ هـ ، ودفن بالبقيع. مما أدى إلى سلسلة من الفتن والحروب أمثل موقعة الجمل ومعركة صفين وبداية ظهور الخوارج ورفع قميص سيدنا عثمان الذي قتل فيه وأصبح مقتل الإمام صفحة في تاريخ الأمة لا تمحى من سجلات التاريخ .

- علمتني الحياة ومازلت أتعلم ، من أنت؟

بداخل الإنسان مليون إنسان آخر يتغير مع كل موقف إلى شخص آخر تحول المشاعر من اليمين إلى اليسار والحب الكبير إلى كراهية بغیضة

أنت اليوم تحب شيئاً إلى حد التعلق و العشق و الهيام ثم بعد فترة تجد نفسك أصبحت لا تعرف هل أنت مازلت تحب هذا الشخص أو هذا الشيء بمجرد أن تصل إلى هذه المرحلة تأتي بعدها اللامبالاة وإذا استمر هذا الشخص في الضغوط عليك تتحول اللامبالاة إلى كراهية ولكن بين الحب والكراهية مشاعر لم تنته بعد لأنك لو لم تحمل مشاعر لهذا الشخص لن تفكر فيه بمعنى لن يوجد حب أو كراهية وأقصد هنا الكراهية التي تأتي بعد الحب وليست الكراهية التي تتكون من عدم الاحترام أو أفعال شخص تجعلك تحمل له الكراهية لكن أتكلم عن تحول مشاعر الإنسان من اليمين إلى أقصى اليسار أو من أن داخل النفس البشرية مليون نفس أخرى وأوقات كثيرة لا تعرف من أنت هل أنت الإنسان الطيب العاقل أو الإنسان الشرس المجنون أو الإنسان الذي يجب الانتقام من نفسه وطول الوقت يسيطر عليه أنه هو الضحية والمجنى عليه كثيراً ما أجد شخصيات تصنع كوارث وتوهم الجميع أنها ضحية المؤامرة عليها وأن ما تفعله نتيجة الرد والدفاع عن النفس ويظل السؤال هو من أنت؟



الباب الثالث

● شخصيات لا تمحى من التاريخ

● ماري أنطوانيت

● هارون الرشيد

● جنكيز خان

● موتسارت

● قطراندى

هناك شخصيات في التاريخ قد رحلت من مئات السنين ولكنَّ أسماءهم لن تمحى من سجلات التاريخ منهم من ترك أعمالاً مازالت تعيش بين الناس ومنهم من ترك أفعالاً غيرت مجرى كتابة التاريخ وإليك بعض الأسماء التي قد كتبت بحروف لا تمحى في سجلات التاريخ .

- هارون الرشيد :

الكتابة عن هارون الرشيد من أحب الكتابات إلى نفسي لأنني أحب هذا الرجل وربما سبب حبي أنه رجل يحب الحياة ويتمتع بها ويخاف الآخرة ويعمل لها عاطفي القلباً طيباً و متقلب المزاج يخضع للمؤثرات والتغيرات المزاجية كان يصلي مائة ركعة في اليوم ويحج ماشياً على الأقدام عاماً ويجاهد في سبيل الله عاماً وفي العام الذي لا يحج فيه يحج عنه ثلاثمائة حاج من الفقراء والمساكين وكان يهتم بهم وبكل ما تحتاجه القافلة في مسيرتها إلى الحجازاً ويهيم من ناحية أخرى بالجمال والشعر والغناء وأشاهد أبا العتاهية يحدثه حديث الزهد والإيمان فيبكي حتى تغرق الدموع لحيته ثم يحكي له أحد الجالسين نكتة فيضحك حتى يقع وينام على الأرض من الضحك ويرضى عن البرامكة فيطلق لهم العنان ثم يغضب عليهم فينكل بهم أشد التنكيل ولقد كان هارون الرشيد مختلفاً عن كل الخلفاء من بني

العباس لقد وضع هارون الرشيد صورة ساحرة للشرق عند الغرب حتى الآن وعندما يذكر اسم هارون الرشيد عند الغرب تذكر الغربيون الشرق بجماله وسحره وكانت علاقته بملك أوروبا شارلمان التي خلدها الفنانون بلوحات فنية عظيمة موجودة حتى الآن وتوالي الوفود والهدايا بينهما جعل ذلك التجارة بين الشرق والغرب في عهده هي العصر الذهبي وأحب الرشيد لأن مثل هذا الرجل متقلب المزاج يكون طيب القلب و صريحًا وما في قلبه يخرج على لسانه لا يعرف المجاملات ولا التملق والنفاق وأحبه أكثر وأكثر كلما قرأت عنه وعن العصر الذهبي لقد كان عصر هارون من أكثر العصور التي اهتمت ليس بالآداب والفنون فقط بل اهتم هارون بجمع الكتب من جميع أقطار العالم ولقد كان كتاب الأغاني للأصفهاني في عهد الرشيد وكانت مشكلة الرشيد هي أولاده والخوف الشديد من أن يتقاتلوا على الحكم من بعده وهو ما حدث للأسف بعد وفاته ولقد أثارت نكبة البرامكة شجون وأحزان القومية الفارسية وكانت هزيمة الإمبراطورية الرومانية والحرب الطويلة والهزائم أمام جيوش الرشيد قد عمدت إلى تشويه وإفساد الصورة عن الرشيد فوصفوه بأبشع الأخلاق وأنه كان يعاقر الخمر ويحب النساء وهي الصورة التي نقلت إلى كتاب ألف ليلة ولم يقف الانتقام عند هذا الحد بل لقد اخترعوا قصة أخته العباسة

للليل من الشرف العباسي كله لقد ظلم التاريخ الرجل ولكن تجد ابن خلدون مدافعاً عن هارون الرشيد ويكذب كل هذه الحكايات عن الرجل ويقول أنه كان يصلي في اليوم مائة ركعة فكيف يشرب الخمر وهو يحج سيراً على الأقدام ولم يفعلها خليفة قبله والغريب أنه بعد هارون الرشيد لم يحج خليفة عباسي ولا فاطمي

- ميلاد هارون الرشيد

ولد ببلدة الري بطبرستان في غرة المحرم ١٤٩ هجرياً وقيل في آخر ذي الحجة سنة ١٤٥ هجري بويج هارون الرشيد بالخلافة في ١٢ ربيع الأول سنة ١٧٠ هجرياً وعندما تنظر إلى الدولة العباسية تجد أنها من أكثر الدول التي طال عمرها فمثلاً كان عمر دولة الخلفاء الراشدين نحو ثلاثين عاماً والدولة الأموية عاشت في حدود مائة عام ثم جاءت الدولة العباسية وعاشت خمسمائة عام وكان حكم الأمويين عربياً خالياً من المظاهر وكان حكم العباسيين حكماً فارسياً كانت قصور الأمويين فخمة لكن بسيطة أما العباسيون كانت قصورهم فخمة ومعقدة وتميل إلى قصور الأكاسرة ولقد تغير النظام السياسي في العصر العباسي بعد أن كان النظام الأموي يقوم على العنصر العربي والدم العربي أصبحت الدولة العباسية تقيم أساسها على

الدم الفارسي والتقاليد الفارسية وفي هذه الظروف تولى الرشيد الحكم وجلس في قصر الخلد في بغداد ورغم هذه الظروف والمتغيرات السياسية والاجتماعية كان هارون الرشيد مثقفاً ثقافة عربية لقد علمه الأدب المفضل الضبي والنحو الكسائي وكان الموصلية هو المفضل عنده في الغناء وكان هارون الرشيد يحب العلم ويحترم العلماء وانتشرت الكتب والعلوم والآداب في عصر هارون عندما دخل هارون الرشيد على الأحمر معلم ابنه محمد الأمين قال يا أحمر - قبل أن أكمل أريدك أن تعرف أن في عهد هارون كانت الدولة في أشد أشد قوتها وكان العصر الذهبي للدولة - ويدخل الرجل الذي يحكم هذه الدولة على أحد أفراد شعبه الذي يعلم ابنه ويقول لهما أحمر أنا أمير المؤمنين وقد دفعت إليك مهجة نفسي وثمره قلبي فصير يدك عليه أو طاعته لك واجبة وكن له بحيث وضعك أمير المؤمنين أقرئه القرآن أو عرفه الأخبار والأشعار أو علمه السنن وبصره بمواقع الكلام أو امنعه من الضحك إلا في أوقاته وخذه بتعظيم مشايخ بني هاشم إذا دخلوا عليه ولا تمر بساعة إلا وأنت مغتنم فائدة تفيده إياها من غير أن تحزنه فتميت ذهنه ولا تمنع في مسامحته فيستحلي الفراغ ويألفه وقومه ما استطعت بالقرب والملاينة فإن أبى هذا فعليك بالشدة والغلظة هذا هو هارون الأب أربما كانت شهرته أكبر منه وحظه كان أكبر من ذكائه وصفاته

وربما لم يكن بذكاء من قبله من الخلفاء وربما لو فعل غيره نكبة البرامكة لتغير التاريخ ولكن هو المكتوب والقدر كانت نكبة البرامكة نقطة سوداء وعلامة تعجب ونقطة فاصلة في تاريخ هارون الرشيد فقد أعطاهم كل شيء ثم أخذ منهم كل شيء وفتك بهم وقد هزت هذه الحادثة صورة الرشيد لأن البرامكة كانوا يتولون كل شئون الدولة ويتقربون إلى الشعراء وإلى عامة الناس وقد حملوا الدولة وكان هارون في بداية حكمة ولم ينضج سياسياً بعد ونكل بهم وهو ناضج وقوي وذو خبرة في الحكم ويستطيع أن يتحمل شئون الدولة كلها بدونهم وأنا لست قاضياً وخصوصاً أننا لم نسمع من هارون حججه لم فعل ذلك وماذا كان يدور في عقله وكذلك لم نسمع من البرامكة دفاعهم عن أنفسهم .

صمم الرشيد على قتل جعفر وكان صديقه والمقرب إليه وسجن يحيى وبقية أولاده وصادر أموالهم ونكل بمن يمدحهم أو يذكرهم أمامه وذاق البرامكة البؤس والشقاء بمقدار ما ذاقوا من النعيم وتوفي يحيى وهو في السجن ثم لحق به ابنه الفضل .

- مرض الرشيد وموته .

دخل خادم هارون الرشيد عليه وكان الرشيد جالسًا مهمومًا فقال له الخادم جعلني الله فداك ما بك؟ قال هارون رأيت كأني جالس على سريري هذا إذ ظهرت من تحتي ذراع أعرفها وكف أعرفه وفي الكف تربة حمراء ثم سمعت صوتًا يقول هذه التربة التي سوف تدفن فيها فقلت أين هذه التربة قال في طوس وغابت اليد وانقطع الكلام وهو في طريقة إلى خراسان اشتد عليه المرض فتذكر هارون تلك الرؤيا وقال لخادمه أتذكر رؤياي؟

ثم رفع رأسه وقال جئني من تربة هذا المكان فمضى الخادم وجاء بتربة حمراء فقال الرشيد هذه والله هي التربة التي كانت في منامي وأخذ يبكي بكاءً شديدًا و يقول يا ملك الملوك يا صاحب الملك الذي لا يزول ملكه ارحم من زال ملكه واشتد به المرض ومات هارون الرشيد وهو في عمر خمس وأربعين وقد وصل اسمه إلى الشرق والغرب وسجل اسمه في سجلات التاريخ التي لا تمحى .



ماري أنطوانيت (١٧٥٥ - ١٧٩٣م). ملكة فرنسا

اشتهرت بجمالها وذكائها، وقد وصمت بالفساد والخيانة، وأصبحت ملكة غير مرغوب في وجودها على عرش فرنسا، كانت الملكة الصغيرة جميلة وذكية وملهمة، وقد ملّت الحياة الرسمية في البلاط الملكي، لذا اتجهت إلى الترويح عن نفسها بالحفلات الفخمة التي كلفت الدولة الكثير من الأموال وكانت تقامر على أي شيء كانت مشكلتها الحقيقية هي عدم التعليم الجيد، ولم تكن تعطي الأمور الجادة الاهتمام، وقد أعطها الملك لويس قصر بتي تريانون، حيث كانتهي وأصدقائها يقومون بالترويح عن أنفسهم أصبحت ماري مكروهة جداً، من الشعب وقد تم تأنيبها على فساد البلاط الفرنسي، حيث كانت تنفق الأموال على ملذتها وحاشيتها من البلاط، ولم تعط أي اهتمام للأزمة المالية بفرنسا وحالة الفقر التي يعيشها الشعب وقد رويت القصص السيئة عنها، حتى وصل الأمر إلى أنها كانت جاسوسة لحساب النمسا.

و يقال: إنها سألت ذات مرة مسئولاً رسمياً عن سبب غضب الباريسيين، فكانت إجابته: ليس لديهم خبز، فكان ردها، إذن دعهم يأكلون

البسكويت وُلد تمّاري بفيينا بالنمسا، وكانت الابنة الصغرى والمفضلة للإمبراطور فرانسيس الأول وماريا تيريزا حاكمي الإمبراطورية الرومانية. تزوجت (ولي العهد) الفرنسي في عام ١٧٧٠م. وبعد أربعة أعوام أصبح الملك لويس السادس عشر وأصبحت ماري الملكة ولم يكن عام ١٧٨٩م، عام الحظ لها على العكس كان العام الذي انطفأ فيه نجمها حيث توفي ابنها الأكبر ثم بدأت الثورة الفرنسية، ولم تعرف ماري الراحة في الأربع سنوات الباقية من حياتها وقد فقد زوجها الضعيف سيطرته على البلاد،

و حاولت هي أن تقوّي من إرادة الملك لويس، ولكن كان ذلك سبباً في غضب الشعب عليها أكثر واعتبر ذلك معارضة منها للتغيرات الثورية في الوقت الذي كانت ماري تعمل للحصول على المساعدة من الخارج، خاصة من أخيها ليوبولد الثاني ملك النمسا، وقد رفضت أن تنفذ أي طلبات للثوار بدأت الحرب مع النمسا وبروسيا في عام ١٧٩٢م، وأفشت أسراراً عسكرية إلى الأعداء. وأيقن الشعب أنها مذنبه. وفي ١٠ أغسطس ١٧٩٢م ألقى الشعب بحكامه في السجن، حيث أوقف الملك عن تولي أمور مُلكه، وانتهت الملكية. و أعدم لويس السادس عشر بالمقصلة في ٢١

يناير ١٧٩٣م، وقدمت ماري أنطوانيت ، إلى المحاكمة بتهمة الخيانة .
وأعدمت بالمقصلة هي الأخرى في نفس العام وتظل صفحة من سجلات
التاريخ التي لا تمحى .



جنكيز خان ١١٦٥ - ١٢٢٧

أنا عقاب الرب فماذا فعلت لكى يبعث الله عليك عقاباً مثلي، إذا مات جسدي ، اسمحوا لجسدي أن يموت، ولكن لا تدعوا بلدي تموت .

نادرًا ما ترك نتيجة صراع غير محسوم.

اختلف المؤرخون على الرجل هل هو قائد عسكري عبقري أو سفاح ولكى نجيب على هذا السؤال يجب أن نعرف حياة الرجل ولقد بحثت كثيرًا جدًا حتى أعرف إجابة عن هذا السؤال بدأ الرجل حياته بطفولة صعبة جدًا حيث قتل أبوه بالسم وهو في سن التاسعة وتركه هو وأخوته ثم طردت قبيلته أمه هي وأطفالها السبعة وكان هو وأخوته يتنافسون على الطعام ثم بعد ذلك في مراهقته تم خطفه هو وزوجته من العشائر الأخرى المنافسة وأصبح عبدًا ثم هرب بعد ذلك وقد تغير وأصبح يحلم بجمع القبائل المغولية وفي سن العشرين استطاع أن يكون قائدًا ومحاربًا ثم بدأ التحالف مع زعماء القبائل الأخرى وفي عام ١٢٠٦ استطاع أن يوحد القبائل تحت راية واحدة وأطلق عليه اللقب الذي صاحبه طول حياته وهو الخان العظيم وبعد ذلك بدأ جنكيز خان التفكير في التوسع وبناء إمبراطورية كل ذلك شيء عظيم ولا يوجد ما يجعل الرجل سفاوحًا بل على

العكس كل ذلك يجعل منه قائدًا عبقرياً أمام شعبه ما أقصده هنا هو أنني وأنت لن نستطيع أن نتحمل أن نقول أنه قائد عظيم بسبب ما فعله التتار في العالم وأنا معك في ذلك لكن بالتأكيد هو أمام شعبه بطل و يعتبر جنكيز خان في منغوليا مؤسس الدولة وبطلاً قومياً ولكن العالم خارج حدود منغوليا يعتبره سفاحاً ومسئولاً عن موت ملايين من الناس وكان نادراً ما يترك صراعاً غير محسوم وأبشع المجازر التي ارتكبت في حياته بعدما خرق شاه الإمبراطورية الخوارزمية اتفاه مع المغول وقتل رسل المغول، وكان رد الخان الغاضب بأن أرسل جحافل المغول إلى أراضي الإمبراطورية

الخوارزمية مخلفاً ملايين القتلى والجثث المتعفنة من الأطفال والنساء والشيوخ و دماراً شاملاً للإمبراطورية الخوارزمية ومن الصعب معرفة العدد الحقيقي لضحايا الغزو المغولي لكن أغلب المؤرخين يقدرونه بأنه فوق العشرين مليون قتيل

- وفاته والغز الكبير

كما كان الرجل غريباً في حياته كان غريباً أيضاً في مماته لا أحد يعرف كيف مات أو أين قبره تقول المصادر أنه وقع من على حصانه وقد كانت إصابته بالغة ومات على إثر ذلك ومصادر أخرى تقول أنه مات بسهم

مسموم أو بمرض الملاريا وكان منتشرًا وقتها وتقول مصادر أخرى وهي القصة الشائعة أنه لم يرد أن يعرف أحد مكان قبره وقد نفذ ذلك الجنود وتقول الرواية أنهم ذبحوا كل من صادفوه في طريقهم للدفن حتى لا يعرف مكان القبر أحد وانتهت بذلك صفحة هذا الرجل الذي تختلف معه لكن لا تستطيع أن تمحو اسمه من سجلات التاريخ .



موتسارت ١٧٥٦ - ١٧٩١

- ذلك المعجزة وصاحب المأساة

هذا الرجل القامة الكبيرة والتي صعب أن يتكرر هذا الرجل الفريد في جميع أنواع الموسيقى هذا الرجل الذي أبدع في عمله ومات في سن ٣٥ عام لقد عرفت موسيقى موتسارت عن طريق الأوبرا وأنا عاشق لهذا الفن ثم أصبحت هائماً مع موتسارت أكثر بعد أن عرفت كيف عاش الرجل وكمية المعاناة التي قد عانها حتى أصابه المرض وهو في ريعان الشباب يكفي أن تعرف أن هذا الرجل بكل ما أبدعه من موسيقى كان مفلساً ومديوناً ولا يملك طعامه ولا طعام أسرته وعندما مرض لم يستطع أن يشتري الدواء لقد كانت حياته صعبة جداً ورغم ذلك لم يتخلص من الحقد والحسد الذي كان يحمله له زملاؤه في مهنته و خصوصاً أكثرهم حقد عليه هو الموسيقى سالييري الذي كان ينظر إلى موتسارت ويقول لماذا وهب الله موتسارت كل هذه الموهبة وهو من عائلة فقيرة ويضحك مثل الطفل ولا يأخذ شيئاً على محمل الجد كان سالييري يريد أن يكون هو صاحب كل مؤلفات وإبداعات موتسارت لأنه يعتقد أن موتسارت لا يستحق كل هذه العبقرية لقد استطاع موتسارت تغيير الموسيقى في زمنه وكانت أوبرا ألناني السحرياً

صدمة لكل محبي الموسيقى كانت الناي السحري باللغة الألمانية وكان الوسط الفني يعتقد أن اللغة الألمانية غير مناسبة للغناء ولكن موتسارت فعلها ومن أهم أعمال موتسارت الفنية هيكونشيرتو البيانو الأخير ، كونشيرتو الكلارينت، و القداس الجنائزي (ريكويم) غير المكتملة والتي كان يقول عنها موتسارت أنها تقتلني .

وكانت لها قصة عجيبة كان يجلس في البيت و قرع رجل مقنع ذو شكل مخيف باب موتسارت وكان يحمل معه عرضاً كان موتسارت في هذه الأيام في أشد الحاجة إلى المال وكانت تدفعه زوجته إلى العمل لجمع المال وكان العرض من الرجل المقنع إلى موتسارت أن يؤلف موتسارت قداساً جنائزياً وألا يذكر اسمه عليه أو ألا يسأل عن اسم المستفيد الذي سوف يضع اسمه مكان موتسارت على العمل وقد وافق موتسارت على ذلك ولكنه مات قبل أن يكمل القداس الجنائزي وقام أحد تلاميذه بذلك وكان موتسارت مريضاً جداً في هذا الوقت مما جعله يشعر أنه يكتب هذا القداس لنفسه وهو ما حدث فعلاً ومات موتسارت ولم يكمل القداس وقد عرف بعد ذلك المستفيد و هو الكونت فرانز فون فالزيغ الذي فقد زوجته وأراد أن يقدم قداساً جنائزياً من تأليفه هو أمام الناس.

- وفاته ودفنه المخجل

اشدد على موتسارت المرض وهو يعمل على القداس الجنائزي ورحل موتسارت عن الدنيا وهو في عمر ٣٥ عامًا كان عمره قصيرًا ولكن أعماله خالدة وكان يوم دفن موتسارت عاصفًا وكان عدد المشيعين لهذه المعجزة خمسة أفراد فقط و كان منهم سالييرى وتلميذه سوسماير الذي أكمل القداس ودفن في مقبرة القديس مارك ودفن في حفرة جماعية للفقراء والمسولين وتنتهى حياته العبقرية بهذه المأساة والشكل الحزين والمؤسفاً و الطريقة المخجلة لتاريخه الموسيقى ونقطة سوداء في تاريخ الموسيقى كلها ولكن يظل موتسارت الفنان المعجزة صاحب المأساة والذي صعب أن يوجد مثله أو يتكرر مرة أخرى إنه موتسارت صاحب الناي السحري والقداس الجنائزي



قطر الندى "زواج أفلس مصر"

اسمها الحقيقي (أسما بنت خمارويه بن أحمد بن طولون) هي من أشهر النساء في تاريخ مصر. ويرجع ذلك إلى ما أحاط حفل زفافها من مظاهر العظمة والثراء الفاحش، حين زوجها أبوها من الخليفة العباسي المعتضد بالله .

- أصل الحكاية

لم تعد يا ولدي الخلافة العباسية غير رداء قديم، ملأه الفقر بالرقع، وما أحسب جيوشنا تثبت ساعة أمام جيش خمارويه»، هكذا كان رد الخليفة الموفق على ابنه المعتضد بعد أن وصلت أنباء جيش خمارويه إلى بغداد لكن المعتضد لم يعجبه هذا الضعف من أبيه الخليفة وقال أرسلني على رأس الجيش وسترى ما أفعل»، فيهدئ الخليفة ابنه بالقول: «خزينة خمارويه حافلة بالمال وقدرته بالإنفاق على الحرب لا نستطيع أن نجاريها و نحن نستجدي أقوات الجند ورواتبهم ويرد المعتضد والله يا أبي إن لم ترسلني إلى هذا الرجل، لخرجت إليه وحدي، فما كنت سليل البيت العباسي وحفيد الرشيد إن لم أجرد خمارويه من مصر والشام، وأضم كل ذلك إلى ملكي ولكن الخليفة الموفق رفض ذلك ولكن المعتضد ظل في انتظار الفرصة حتى

يحقق هذا الحلم بعد أن مات أبوه الموفق، قرر أن يجيش الجيوش ليزحف بها إلى مصر، ولما وصلت الأخبار إلى مصر وخمارويه قال: «رحم الله أباه الموفق، كان أذكى، وأوفر حكمة من ابنه المعتضد، فلو طلب منا أن نزيد في خراجه لفعلنا، فما نحن إلا ولاته على الأقاليم، ولكن بما أنه عزم على حربنا، فلا خيار لنا سوى الرد، ثم جمع قادة جيشه وأمر أبا عبد الله بن سعد - قائد جنده - أن يخرج إلى مشارف العراق، وأن يعرض على المعتضد، أن يضاعف له الخراج، فإن أبى إلا الحرب، فلا بد من تبديد شمل جيشه، على ألا يدخل القتال مقر الخلافة العباسية، إلا بأوامر من خمارويه نفسه .

ولكن كانت الخيانة من قائد جيش خمارويه أبي عبد الله بن سعد بعد أن نجح الخليفة المعتضد في استمالة إليه، بعد أن أقنعه بأن خمارويه يبخل عليه بالزواج من ابنته! فينضم بجيشه إلى جيش المعتضد .

وتصل الأخبار إلى والى مصر خمارويه بخيانة قائد الجيش فيقرر الخروج إليهم بنفسه على رأس الجيش ويوصي ابنه: ويقول له سوف أترك مكانى هنا، فإذا نصرنا الله عدنا غانمين، منتصرين، وإذا شاءت إرادة الله ألا نتصر، فأنشدك الخير في أهل مصر، . وأوصيك بأختك قطر الندى، فهي وردة يانعة، ليس لها من يحميها من الأيدي الطامعة سواك، فلا تسلمها إلا

إلى خير الناس، ممن هي ترضى عنه ثم يرد ابنه أبو العساكر: «إن نصرك الله على المعتضد، أتمنى ألا يدخل إلى مصر إلا وهو مقيداً بالحديد، ولكن خمارويه القائد الوفي يقول كلمته التي يرد بها على كل خائن كلاً يا ولدي.. بل إذا انتصرت و ظفرت بالمعتضد خليفة المسلمين، وأمير المؤمنين، فسأعيده إلى بغداد معززاً مكرماً، فما يزيل الأحقاد إلا الصنح الجميل، و لولا أنه رفع السلاح علينا، لما بادرنا بحربه، إنه الخليفة وأمير المؤمنين كانت هزيمة المعتضد ساحقة في المعركة ، بعد أن وقعت جيوشه كلها في الأسر، لكن خمارويه أمر بأن يتم التعامل مع الخليفة بما يليق ومكانته كأمر المؤمنين، ثم وعده بمضاعفة خراج مصر، بل وعده بما هو أكثر من ذلك عندما عقد العزم على مصاهرته بزواج ولى عهدة وابنته الوحيدة ولكن الخليفة المعتضد طلبها لنفسه و كانت أسماء - قطر الندى - أجمل نساء عصرها و أوفرهن ذكاءً و تثقيفاً و قد ولدت في قصر القطائع - الذي أنشأه خمارويه على غرار قصور ألف ليلة و ليلة و كان عمرها عند الزفاف أربعة عشر عاماً وكان المعتضد رجلاً كبيراً في السن ،

ذكر المؤرخون قافلة العروس - قطر الندى - وكيف حملت هذه القافلة ما لم تره عين أو تسمع به أذن، أربع قطع من الذهب عليها قبة من ذهب

مشبك، في كل عين من التشبيك قرط معلق فيه حبة من الجواهر لا تعرف لها قيمة.. دكة من الذهب، تضع عليها قدمها، كلما دخلت إلى حجرتها. مائة هاون من الذهب يدق فيها العود والطيب. ألف مبخرة من الذهب. وألف تكة ثمنها عشرة آلاف دينار ومئات الصناديق المحتوية على الملابس، والأقراط، والسلاسل الذهبية، وفصوص من الأحجار الكريمة.

يقول المقريزي أن ابن الجصاص المشرف على هذا الجهاز الأسطوري بعد أن فرغ من إكمال الجهاز ذهب إلى خمارويه يقدم المال الذي بقي معه وهو أربعمائة ألف دينار.. فأعطاه له خمارويه .

ويقول ابن الجوزي - في العراق - أن خمارويه أعطى ابن الجصاص مائة ألف دينار أخرى بعد أن اشترى ذلك الجهاز الخرافي من مصر وقال له : لعل بالعراق ما نحتاج إليه ولا يكون موجوداً معك بالجهاز .. فلم يجد ابن الجصاص شيئاً يشتريه ، فأخذ لنفسه الأموال ،

أمر خمارويه والي مصر أن يبني لابنته قطر الندى على رأس كل رحلة من مراحل طريق السفر الطويل، فيما بين الفسطاط وبغداد، قصر تنزل فيه، معد بكل ما تحتاجه العروس في سفرها من الراحة و الرفاهية، حتى تشعر بأنها لم تفارق قصرها الذي عاشت وتربت فيه وقد كان على رأس موكب

العروس عمها شيبان ابن أحمد بن طولون وجماعة من الأعيان بالإضافة إلى ابن الجصاص الجوهري. ويقول المؤرخون أنهم كانوا يسيرون بها سير الطفل في المهد ، فإذا وصلت إلى المحطة نزلت فوجدت قصرًا فاخرًا مجهزًا بكل أنواع المفروشات والستائر وبكل أنواع التسهيلات والمؤن للإقامة والراحة ، وبعد الراحة و الاستجمام يواصلون السير إلى محطة أخرى حيث يستقبلهم قصر آخر حتى و صل موكب العروس إلى بغداد ليلاً بين آلاف الشموع والمشاعل، دخل موكب قطر الندى قصر دار صاعد انتظاراً لزوجها الخليفة الذي كان خارج بغداد .

وفي يوم الزفاف كانت هناك احتفالات أخرى لم تر بغداد مثلها، على امتداد تاريخها حيث أمر الخليفة بالألا يعبر أحد نهر دجلة وأن تغلق أبواب الدروب والطرقات التي تفتح على شاطئ دجلة ومنعوا الناس من الظهور على الشاطئ .. وفي وقت العشاء جاءت سفينة من دار الخليفة المعتضد تحمل الخدم ومعهم الشموع ورسست السفينة مقابل "دار صاعد" حيث تقيم قطر الندى ، ومعها أربع سفن أخرى صغيرة تحمل الزيت لتضيء الشموع ، وانتقلت قطر الندى من دار صاعد إلى السفينة ، ثم منها إلى دار المعتضد فأقامت فيه يوم الإثنين في جناح خاص بها ، ثم دخل بها يوم الثلاثاء الخامس من ربيع الأول سنة ٢٨٢هـ .

ولما قُتل أبوها خمارويه، وصل خبرُ ذبحه إلى المعتضد قبل أن يصل إلى قطر الندى. ودخل المعتضد على قطر الندى، فأحست فتورًا منه في معاملته إياها. فقالت: أحسن الله عزاءك يا أمير المؤمنين في خمارويه، وجعل من غلمانك خير خلف منه. فقال لها: أبلغك قتله؟ قالت: لا والله. ما يدخل إليّ خبر من غير علمك قال: فمن أين عرفت ذلك؟ قالت: كان أمير المؤمنين طول حياة أبي يُبدي لي برًا ومعاملة حسنة، لمكانة أبي. فلما رأيتك اليوم قد عاملتني بفتور ولم أفعل ذنبًا أستوجب به هذه المعاملة قد خطر بخاطري أن أبي مات. فاستحى المعتضد واعتذر. ثم قال لها: فما بالك لا يظهر عليك أثر الحزن عليه؟ قالت: فرحي بك يغلب على حزني عليه، والرضا بحياتك يقهر السخط بموته. فقَبِلَ رأسها وحلف لها أنه يرعاهما في موت أبيها أكثر من رعايته لها في حياته و ماتت الأميرة الجميلة قطر الندى في شهر رجب عام ٢٨٧ هـ، بعد خمس سنوات فقط من زواجها، وكانت في الثانية والعشرين من عمرها، و دفنت في قصر الرصافة ببغداد ثم مات الخليفة زوجها بعدها بعامين وانتهت صفحة أشهر عروس في التاريخ وهكذا هو التاريخ لكل بداية نهاية حتى يوم القيامة وينادي الله - سبحانه - ويقول أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟

فهل يجيبه أحد من طغاة الأرض أو ملوكها، كلا الجميع خاشعون صامتون وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا طه: ١٠٨

فالملك في ذلك اليوم العظيم لله وحده لا ينازعه فيه أحد من ملوك الأرض وجبايرتها، قال تعالى مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ :

ومن الرحمة للخلق أن الله - سبحانه - هو الملك الوحيد يوم القيامة لأنه الذي يحاسب بالعدل ولا يظلم ولا يجور ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ [فصلت: ٤٦] ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا ﴾ [الأنبياء: ٤٧] .

أن الملك لا يحسن ولا يكمل إلا مع الإحسان والرحمة، يا أيها الملوك والحكام ارحموا هؤلاء المساكين، فما ملككم غير نقطة في بحر من ملك الله لا تطلبوا مرتبة زائدة في الملك على ملك الله - سبحانه - لأنكم لن تصلوا .

وبعد هذا الجهد المتواضع أتمنى أن أكون موفقًا في سرد يسردًا لا ملل فيه ولا تقصير .

وفي النهاية لا أملك إلا أن أقول ما أنا إلا بشر قد أخطئ وقد أصيب فإن كنت قد أخطأت فأرجو مسامحتي وإن كنت قد أصبت فهذا كلما أرجوه من الله - عز وجل - .

وإلى رحلة أخرى - إنشاء الله - في الجزء الثاني من الكتاب ساعات من التاريخ ، ومعارك فاصلة غيرت مجرى التاريخ .



أهم المراجع للكتاب

- إغاثة الأمة بكشف الغمة ص ٩٩ : ١٠٠ .. تقي الدين المقريزي .
- البداية والنهاية - ابن كثير .
- العصر العباسي . الأول - الدكتور عبد المنعم ماجد .
- بدائع الزهور في وقائع الدهور - محمد بن إياس المصري .
- تاريخ البطاركة في الكنيسة القبطية - لساويرس بن المقفع أسقف الأشمونيين .
- اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء - تقي الدين المقريزي
- كتاب الإمام الذهبي سير أعلام النبلاء

